

الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام^(١)

هو أمير المؤمنين أبو محمد عبدالله بن حمزة الجواد بن سليمان البر التقي ابن حمزة النجيب بن علي المجاهد بن حمزة الأمير القائم بأمر الله بن الإمام النفس الزكية أبي هاشم الحسن بن الشريف الفاضل عبدالرحمن بن يحيى نجم آل الرسول ابن أبي محمد عبدالله العالم بن الحسين الحافظ بن الإمام ترجمان الدين القاسم ابن إبراهيم الغمر طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن الرضى ابن الحسن السبط سيد شباب أهل الجنة بن أمير المؤمنين سيد العرب علي بن أبي طالب سيد قریش عليهم السلام^(٢) .

نسب كأن عليه من شمس الضحى رداً ومن فلق الصباح برودا

وأما أمه عليها السلام فهي الشريفة الفاضلة زينب بنت إبراهيم بن سليمان من ولد الإمام محمد الخارج بتاهرت من أرض الغرب واستقام أمره، وكان يركب الحمار ويلبس الصوف، وأبوه الإمام يحيى بن عبدالله عليهم السلام .

وهو عليه السلام من دوحة بسقت في سماء المجد والعلاء، وأثمرت ثمرا حلوا المحتنى، اكتسبت النضارة أغصانها، ولبست البهجة أفنانها، واقرنت بغرائب العلم، وتفتقت

(١) انظر سيرة الإمام عبد الله بن حمزة لأبي فراس بن دعثم بتحقيق عبد الغني محمود عبد العاطي ، أئمة اليمن ١٠٨/١ - ١٤٣ ، بلوغ المرام فيشرح مسك الختام ٤٣ ، الترجمان ((خ)) مآثر الأبرار ((خ)) السلائي المضئية ((خ)) غاية الأماني ١/٣٢٩ - ٤٠٦ ، التحفة العنبرية ((خ)) ، التحف شرحالزلف ٢٤١ - ٢٤٩ ، أعلام المؤلفين الزيدية ٥٧٨ - ٥٨٦ ، تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ٣/٣٧ - ١٦٢ ، الأعلام ٤/٢١٣ ، معجم المؤلفين ٦/٥٠ ، الجواهر المضئية ((خ)) ، مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ٥٣٩ ، المقطف من تاريخ اليمن ١١٦ - ١١٧ ، ونسمة السحر ٢/٣٢٢ ، والغدير ٥/٣٩٦ .

(٢) التحف ٢٤١ .

كمائهما من عجائب الفهم، ظاهرة البركة للعالمين، توتّي أكلها كل حين، مباركة شافية زاكية نامية، قطوفها دانية .

قيل ليحيى بن معاذ رحمة الله عليه: ما تقول في أهل البيت عليهم السلام؟ فقال: ما أقول في طينة عجنت بماء النبوة، وغرست بأرض الرسالة، فهل ينفح منها إلا ريح الهدى، وعنبر التقى، وما ظنك ببيت عمره التنزيل، ومدحه الملك الجليل، وكانت تئاتم أبويهم من زغب ريش جبريل (ع)، من ذا يدانيهم أو يساويهم؟. ثم قيل فيهم:

كفر وقربهم منجى ومعتصم	من معشر حبههم دين وبغضهم
ويستدام به الإحسان والنعيم	يستدفع السوء والبلوى بحبهم
في كل شيء ومختوم به الكلم	مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
أو قيل: من خير أهل الأرض؟ قيل: هم	إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
ولا يدانيهم قوم وإن كرموا	لا يستطيع جواد بعد غايتهم ^(١)
والأسد أسد الشرى والبأس يحتدم	هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت
خيم كريم وأيد بالندى لهم ^(٢)	يأبى لهم أن يحل البخل ساحتهم

هذه عناصره عليه السلام الشريفة وجواهره العالية المنيفة.

ولد عليه السلام بعيشان من ظاهر همدان في شهر ربيع الآخر لإحدى وعشرين ليلة خلت منه سنة إحدى وستين وخمسمائة .

(١) في دوان الفرزدق ((جودهم)).

(٢) للشاعر الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين ديوان الفرزدق ١٨٠ - ١٨١ .

وروي أنه عليه السلام عند ولادته ازداد ضوء المصباح وعلا علوا يتجاوز المعتاد
حتى بلغ دوين السقف واستقام على ذلك، وأسنده مصنف سيرته عليه السلام إلى الشيخ
عواض بن مسعود رحمه الله، رواه عن المرأة التي حضرت الولادة .
وكان أبوه حمزة بن سليمان عليه السلام قد رأى في شأنه منامين: أحدهما أنه رأى
كأن رجلا عظيم الشأن في منزلة عالية، عليه هيئة وجلالة وتعظيم عند الناس، فسأل
من هذا؟ ففهم من الجواب أنه ولدك واسمه عبدالله، فلما ولد عليه السلام أتى البشير إلى
والده فقال له: أما إن كنت مبشرا بعبدالله فقد سبقك غيرك، فلما وصل إلى منزله
سألته زوجته أن يسميه عبدالله فحكى القصة.

والمنام الثاني: أنه رأى أنه ظهر منه نور يملأ الأرض كلها فعبه على جدته
الشريفة الفاضلة سيدة بنت عبدالله الحرازي فقالت له: اكنم ذلك، فقد قيل: إنه لا
بد أن يظهر منك أو من ابنك المنصور أو من يدل عليه، ثم عبرها على رجل وهو
يتعجب منها فلما استكملها قال: أبشر يا حمزة بإمام من ذريتك، فصدق الله
منامه.

وكان والده حمزة بن سليمان أتاه قوم من بني صريم ثم من الأجارم ثم من أهل
عرار^(١) يطلبون منه القيام والمدافعة عنهم على ابن حاتم بن أحمد لما ملك أرضهم
فقال: لا فرج لكم على يدي وإنما فرجكم على يدي هذا الصبي وهو بين يديه ابن
العشر السنين أو دونها، سمعنا ذلك عمن رواه عنه عليه السلام يروي ذلك.
وكان حمزة من فضلاء أهل عصره وعيونهم له معرفة بأنواع العلوم، كان قد
أقام مع القاضي العالم شمس الدين جعفر بن أحمد قدس الله روحه، وكان يروي عن

(١) في (ج): من بني حريم من الأجارم من أهل نجران .

القاضي: أنه يصلح للإمامة ويقول: لو دعا لأجبننا دعوته، وكان معروفا بالسخاء
والمروة والطهارة والعبادة والشجاعة، ومن سخائه أنه لقيه ضيف ولم يكن معه
شيء، فعمد إلى رداءه، فشقه واشترى له طعاما به، وفيه يقول الإمام المنصور بالله
عليه السلام في كلمة له لما لامته امرأته في سماحته فقال مفتخرا:

فإن أبي أوصى بنيه بخطه ولست بناس للوصية من أب
وباع تراثا من أبيه لضيفه وشق فضول البرد غير مكذب

ومن ورعه ما أخبرنا به بعض الإخوان كثرة الله عن الإمام المنصور بالله أنه ضرب
في رجله يوم الشرزة فبقي عقيرا، فمرت به دواب ما استجاز الركوب على أحدها
-وفي تلك الحال الرخصة جائزة.

وأما سليمان بن حمزة فكان فاضلا عالما ورعا وحيدا في عصره.

روى مصنف سيرة الإمام عليه السلام بإسناده إلى الشريفين الأميرين الفاضلين
يعقوب وإسحاق ابني محمد بن جعفر رحمهما الله تعالى: أنه لما أتاهما خبر نعي
سليمان بن حمزة قالوا: الآن يأسنا من القائم من أهل بيت رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم في عصرنا فقيل لهما: وهل كان يصلح لهذا الأمر؟ قالوا: نعم كان
له أهلا.

وأما حمزة بن علي فإنه مات غلاما صغيرا قد بلغ العشرين وافدا من جهة أبيه
إلى حرض علي الأمير غانم بن يحيى الحسيني .

وأما علي بن حمزة رضوان الله عليه فكان من عيون أهل عصره وأفاضل أبناء
دهره يؤهل للإمامة، ويصلح للزعامة، وهو أحد الخمسة الذين جمعهم عصر واحد
يصلحون للإمامة، ذكر ذلك مصنف سيرة الإمام المتوكل على الله عليهم السلام،

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحلي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُوري الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

واتصلت به دعوة الإمام السيد أبي طالب الأخير عليه السلام بعد أن سأل عن أفضل أهل البيت عليهم السلام فأشير إليه وقبره عليه السلام بذييين، وكان له حصن بكر، وكان عالي الصيت، نبيه الذكر يقصد بالمديح، ويثيب عليه بالجوائز السنية. فمما روي فيه قول شاعر وفد إليه من صنعاء يقال له علي بن زكري:

دع الشعر وادمح خير هاشم عنصرا عليا حمام الضد عند التكافح
فتي فاضلا يسمو على الناس كلهم بعلم وعقل في البرية راجح
غياث اليتامى مشيع الضيف باذل ال عطايا لغاد في الأنام ورائح
ترى الناس أفواجا لدى سوح داره كحجاج بيت الله حول الأباطح

ولبعضهم من قصيدة يستنهضه للقيام يقول فيها:

وقَابَلْتُ ذِيَّيْنُ مَسْرُورَةً لما التقت بالهاشمي العتيق
أشْوَوسَ من غرِّ بني هاشم مستنقذ الجاني وغوث الغريق
رباه بالجوذ أبو هاشم وحمزة البر الكريم الشفيق
فشب كالصارم في العزم بل كالبحر يلقاك بوجه طليق
لم يصبح الكأس ولا هاجه نوح حمامات بوادي العقيق
ولا دعا الساقى في سحرة أن هات صرفا من عصير المقيق
قم فانعش الحق وأشياعه فأنت بالمرجو منه خليق

وأما حمزة بن أبي هاشم فهو القائم بأمر الله المحتسب في سبيل الله المناذب لأعداء الله شهد بفضله المخالف والموالف، وقد ذكره الإمام المتوكل على الله عليه السلام في بعض رسائله على المطرفية الشقية في من ذكر من أهل البيت عليهم السلام الذين أنكروا

مذهب المطرفية، وردوا عليهم. وكانت له مع بني الصليحي وقعات مشهورة ومواقف ماثورة .

وكان عليه السلام في بعض أيامه في مسجد حلمم وقد اجتمع أهل الطرف وأراد الصلح بينهم في أمور كانت، فأحدث واحد بالقرب من المسجد صوتا يريد تفريق الناس حتى ينصرفوا بغير صلح فلما سمعه حمزة قدس الله روحه قال: من هذا الذي غير محضرنا غير الله لونه، فأنزل الله به البرص في مجلسه عقيب دعائه عليه السلام وراه الناس حتى وصار آية شاهدة بفضله وكرامته، ولم يزل مجاهدا حتى مضى لحال سبيله، وقتل في المعركة عليه السلام في المنوي^(١) آخر سنة تسع وخمسين وأربعمائة في أيام علي بن محمد الصليحي وكان عليه السلام يقاتل يوم قتله وهو يقول:

أطعن طعنا ثائرا غباره طعن غلام بعدت أنصاره

وانتزحت عن قومه دياره

وفيه يقول شاعر المكرم:

وصرعن بالمنوي منكم سيذا قرما ولم أرض به أن يصرعا

وكان جيشه ألفا وخمسمائة فارس وخمسة عشر ألف راجل، ووقف عنده سبعون شيخا من همدان يجالدون معه حتى هلكوا، وقتل معه عشرة من رؤساء همدان كل واحد له عشرة ذكور وعشر بنات، وعجل الله تعالى انتقام قاتله علي ابن محمد الصليحي، فلم يجل عليه الحول حتى قتله سعيد بن نجاح في شهر ذي القعدة لسبعة أيام خالية منه سنة ستين وأربعمائة، وقيل سنة ثلاث وسبعين، وقتل معه بنو عمه وسبيت حرمه . وقال الإمام عليه السلام في قصيدة منها:

(١) موضع في الخشم .

كم بين قولي عن أبي عن جده
وفتى يقول حكى لنا أسياننا
ما أحسن النظر البليغ لمنصف
خذ ما دنا ودع البعيد لشأنه
وقال فيها ... و ذكر حمزة عليهما السلام:
أفليس جدي حمزة نعش الهدى
حسما إلى أن ذاق كأس حمامه
وسليله جدي علي ذو العلا
لم يرتدع في حربته عن عامر

يعني عامر بن سليمان الزواحي الذي قتله الأمير المحسن بن الحسن بن ثلا وشبام،
وثأر بحمزة بن أبي هاشم عليهما السلام وحمل السلطان عامر بن سليمان على
الأمير المحسن فتطارد له ^(١) ثم لقاها الرمح في هزمته ^(٢) فوقع في نحره وعطف عليه
ولده، فشل شيعي من خالصان الزيدية كنانته ورماه بسهم كان فيه حمام ولده،
فقال الشاعر من الزيدية:

إننا قتلنا عامرا وابنه
وقال يمدح المحسن وذكر طعنته:
لله در محسن من طاعن
جادت له كف الشريف بطعنة
يحيى وكانا ملكي حمير
والخيل بين عجاجة وسَنورٍ ^(٢)
ضمنت له منها بموت أحمر

(١) هزمه: جمعها هزوم وهي للثغرة من الترقوتين . المنجد: مادة هزم .

(٢) السنور: لبوس من قد كالدرع . القاموس ٥٢٦ .

وقال الإمام المنصور بالله بعدما تقدم:

وسليله جدي سليمان الرضى
ولحمزة سبق إلى طرق العلا
والله ما بيئي وبين محمد
وأنا الذي عايتموا أحواله
وسلوا فإننا قد عرضنا أمرنا
كثرت مكارمه عن التعداد
يرويه كل أخي تقى وسداد
إلا امرؤ هاد نماء هادي
وكفى عيانكم عن استشهاد
للناس من عدن إلى سنداد

وأخبرني الأمير شيخ آل الرسول عماد الدين يحيى بن حمزة طول الله عمره بسنده إلى بعض أهله أنه لما دفن حمزة عليه السلام وأراد أولاده نقله من الموضع الذي دفن فيه حمزة عليه السلام فأقاموا مدة يطوفون بقبره ليلا حتى أمكنتهم الفرصة فحملوه في شملة ليلا وله نور ساطع يرى منه أهداب تلك الشملة، ولما نقلوه من حيث كان قبروه في بيت الجالد رضوان الله عليه .

وأما أبوهاشم الحسن بن عبدالرحمن عليه السلام فكان من فضلاء العترة وعلمائها وكان قد دعى إلى نفسه سنة ثمان عشرة وأربعمائة. وله دعوة حسنة وهي تكشف عن فضله وغزارة علمه وهي موجودة، وله كتاب سياسة النفس في الزهد والوعظ.

ولم تطل أيامه عليه السلام وإن كان قد دخل صنعاء وأقام فيها في سنة ست وعشرين وأربعمائة، واستقام أمره حتى عارضه الشقي الحسين المرواني لا رحمه الله. وتوفي بناعط في بلاد حاشد، ومشهده هناك مشهور مزور، وكان قدم من الحجاز ومعه ولداه: حمزة ومحمد، وقد بينا خبره فيما مضى، وأما من عدا هؤلاء فإنهم قدوة أعلام سادة أمجاد، قد تبوأوا غرف الشرف العالية، وتسنموا ذرى الفخار السامية،

فالمجد بهم معصوب، والحق إليهم منسوب، وما حال قوم أحسابهم نبوية، وأنسابهم علوية، قد أشرق جوهرها، وطاب مخبرها! فهل لهؤلاء من عدل، أو يوجد لهم مثل؟ إنهم لمعشر نجباء حلما، وقوم خيرة كرماء.

فهذه صفة آبائه عليهم السلام الذي ينتمي إليهم في نسبه، وينتهي إليهم في حسبه، فما ترى حال هذه الأنساب والأفعال يا من يميز بين الأقوال، وإذا كانت هذه صفتهم أو حالتهم، فكيف ترى حالته؟ إنها لصفة شريفة، وحالة عالية منيفة، وإنه عليه السلام وإياهم لكما قال بعض من مضى وهم أخلق به وأولى:

من أهل بيت ترى ذا العرش فضلهم	بنى لهم في جنان الخلد مرتفقا
المطعمين إذا ما أزمة أزممت	والطيبين ثيابا كلما عرقوا
كأن آخرهم في المجد أولهم	إن المكارم والأخلاق تتسق
إن قامروا قمروا أو فاحروا فحروا	أو فاضلوا فضلوا أو سابقوا سبقوا
تنافس الأرض موتاهم إذا دفنوا	كما تنوفس عند الباعة الورق

صفته عليه السلام:

كان عليه السلام طويل القامة، تام الخلق، روي اللون، أقى الأنف، حديد البصر، فيه حدة مفرطة، أبلج كث اللحية، كأن شبيها قصب الفضة صقالة وصفاء، قد كسى الكمال والمهابة والجمال حتى فاق أهل عصره في خلقه كما فاقهم في خلقه. ولقد روى لنا بعضهم أنه رآه في حال صباه وعنفوان شبابه وأنه إذا سجد يرى نور وجهه فيما يجاذيه يتردد كما يتردد نور الشمس عند وقوعه من الماء في الجدار.

مات عليه السلام وقد غلب الشيب على عارضيه خاصة، وقال له بعضهم: يخضب عارضيه^(١) . فقال بديها:

قالوا اخضب الشيب إن الشيب منقصة في أعين الرشيميات^(٢) الرغاديد
فقلت: ذاك كما قلت وهيته نقيض قولكم في أعين الصيد
نحن الذين ضربنا الناس عن عرض على البياض فهل نرضى بتسويد^(٣)
وكان عليه السلام صادق الحدس، قوي الفراسة، يعرف بذلك من خبره من المخالطين،
ويعد باليقين من جملة المحدثين، ولكم من أمر أخبر به قبل أوانه بالحدس فكان
كذلك وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه
ينظر بنور الله))^(٤)، قال الشاعر:

الألمعي الذي يظن بك الظن من كأن قد رأى وقد سمعا

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام

هذا باب لا سبيل إلى استقصائه، وإنما نذكر اليسير ففيه كفاية ومقنع لمن
قلت خبرته به عليه السلام وإلا فأحواله ظاهرة وبدور شرفه باهرة .
نشأ عليه السلام من صغره على أشرف طريقة وأزكى حالة، لم يعرف له شغل في
حال صباه باللعب ولا ميل إلى اللهو والطرب، وأخبرني من أثق به كل الثقة أنه
عليه السلام لما فرغ من تعلم القرآن الكريم في حال صغره وأدرك منه الوطر أخذ يتأسف

(١) في (أ): عارضه .

(٢) الظاهر أنه جمع رشا وهو ولد الظبية . معجم قواميس اللغة ٣٨٤ .

(٣) ديوان الإمام عبد الله بن حمزة ((خ)) ٣٠٥ .

(٤) كنز العمال ٨٨/١١ برقم ٣٠٧٣٠ والترمذي ٢٧٨/٥ برقم ٣١٢٧ ، وفتح الباري في شرح البخاري

. ٣٨٨ / ١٢

على ضياع العمر وفوات العلم وأطب في ذلك، فأعلم بعض إخوته والده عليه السلام بذلك فدعاه وتحدث معه، وقال له: يا بني إنه لم يمض من المدة إلا القدر الذي يمكنك أن تصل فيه إلى ما قد وصلت إليه وأنت مستقبل فشمري في ذلك، ثم انتقل بعد ذلك إلى الدراسة في أنواع العلم، فأخذ في علم الأدب حتى لج في أغواره والتقط من درره من قراره، وبرز في ذلك تبريزا بليغا، ولقد كان يحفظ من شواهد اللغة ما لم يحفظه أحد من أهل عصره .

وأخبرني الأمير الكبير شيخ آل الرسول في عصره، وناعش الحق في دهره،
عماد الدين، ذو الشرفين، أبو المظفر يحيى بن حمزة بن سليمان طول الله عمره
وأعلا^(١) قدره: أنه رأى مع الإمام عليه السلام مجلدا فيه أشعار، ثم قال له: قد قرأته شرفا
فحفظته^(٢) فحذه فاسألني عن أي قصيدة منه شئت قال: فأخذته وجعلت أسأله من
أوله ووسطه وآخره وأنا أذكر له بيتا من القصيدة فيأتي بها تامة حتى استرويته عدة
قصائد. وأخبرني الفقيه العالم جمال الدين عمران بن الحسن بن ناصر أدام الله
سعادته عن بعض من له حظ وافر من الحفظ لأشعار القدماء والمحدثين: أنه قال: أنا
أحفظ^(٣) قدر مائة ألف بيت، وفلان يحفظ مثلها وذكر رجلا من أهل الأدب ونحن
لا نعد حفظنا إلى جنب حفظ الإمام عليه السلام شيئا وكان إذا عرض البيت من القصيدة
يحتج به على لفظة غريبة^(٤) من الكتاب والسنة أو غيرهما من كلام العرب روى

(١) في (ج): شرف .

(٢) في (ج): أشرفا ثم حفظته .

(٣) في (ج): قال: أحفظ .

(٤) في (ج) غريبة .

القصيدة أو أكثرها وربما روى^(١) سبب إنشائها ونسب قائلها، وقد يحكي كثيرا من أشعاره إلى غير ذلك من الأحوال المشاهدة له في هذا الباب من سبق .

وكان عليه السلام عارفا بأيام العرب على ضرب من التفصيل، ثم ارتحل عليه السلام للقراءة إلى الشيخ العالم حسام الدين أبي محمد الحسن بن محمد الرصاص رضوان الله عليه، وكان عالم الزيدية في عصره، والميرز على أبناء دهره، وإليه انتهت رئاسة أصحاب القاضي شمس الدين قدس الله روحه، فوقف عنده رضي الله عنه فقرأ في الأصوليين حتى فاق الأقران وتقدم الكهول والشبان .

وحكى لي عليه السلام أنه كان يكتب في لوح عشرا في أصول الدين في جانب وفي جانب آخر عشرا في أصول الفقه قال: وقرأت هذه ثلاثة أشراف وحفظتها وهذا ثلاثة أشراف وحفظتها^(٢) فجمع بين القراءة في فنين وصنف عليه السلام في أصول الدين قبل بلوغ العشرين من مولده، وكان من محاسن تصانيفه في حال صباه ودراسته عند شيخه حسام الدين قدس الله روحه كتاب ((الشفافة)) وهو جواب رسالة أنشأها رجل من أهل مصر، ووسمها ((بالرسالة الطوافة إلى العلماء كافة)) تشتمل على مسائل في الأصول، بألفاظ يغلب على كثير منها: التعقيد والتعير، وهي نيف وأربعون مسألة، وموردها شعري متفلسف، فطافت على كثير من البلدان، فما تصدى عالم لجوابها، ولا رام فتح بابها حتى انتهت إلى الشيخ المقدم ذكره؛ لأنه كان في علم الكلام شمسا مشرقة على الأنام، وحبيرا من أحبار الإسلام، فأمر رضي الله عنه الإمام أن يجيب عنها، فأجاب عليه السلام بأحسن جواب وأوضح خطاب، مع الإيجاز في الألفاظ والاستيفاء للمعاني، فجاءت حالية الجيد، محاكية للعقد الفريد .

(١) في (أ): ذكر .

(٢) في (ج): ساقطة : وحفظتها .

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحلي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُوري الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

وقال عليه السلام فيها بعد حمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة على محمد صلى الله عليه وآله:
فإن الرسالة الطوافة انتهت إلينا إلى أرض اليمن قاطعة خطامها، حاسرة لثامها،
تقطع الجاهل والجهول^(١)، وتصعد معاقل الوعول^(٢)، كم واد جزعت، ومرت
قطعت، وشامخ طلعت...

تأتي على الناس لا تلوي على أحد حتى أتتنا وكانت دوننا مصر

لكنها جاءت بما برد الأحشاء، ولم يكن كلسان الأعشى.

ثم قال: فلما اتصلت بحسام الدين، ورأس الموحدين أبي علي الحسن علامة
أهل اليمن، عاينت ما يبهر العقول نورا، ويرد الطرف حاسئا حسيرا، كسرت من
طرفها، وطامت في أنفها، وقبضت من كفها، وسلمت له القيادة، وقالت: هيت
لك يا خير هاد، ألفت رحلها بحيث حط الفضل رحله، وصارت إلى من صار
للعلماء قبله، وكان يومئذ مشغولا بتصانيف وأجوبة لا يقوم بها سواه، ولا ينهض
بعيها إلا إياه، دفعها إلي وقال: حلل عقدها، وقوم أودها، وكنت قد اغترفت من
تياره غرفة طالوتية، أفرغت علي صبرا، ومنحتني على المناضل نصرا، فامتثلت الرسم
العالي، على كثرة اشتغالي، وقلة إيغالي، مستعينا برب أزلي، قديم أبدي. فانظر إلى
هذه الشذور الذهبية واليواقيت الفاتقة العربية .

ثم أخذ عليه السلام في الكلام والأجوبة فكأنه السحر دقة، والماء غدوبة ورقة،
وفرغ الجواب عليها من نهاية الإيضاح والبيان، ووسم الجواب)) بالجوهر الشفافة
رادعة الطوافة)) وأصحابها هذه الأبيات أنشدها عليه السلام في داره بحصن ظفار حرسه
الله تعالى:

(١) في (ج): الفحول .

(٢) في (أ): ساقطة: الوعول .

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحلي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحَطُورِي الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

هذي أمانة من تلم به حتى يبلغها إلى مصر
غراء واضحة تضيء ظلا م الليل مثل جمانة البحر
عدلية تمضي لحاجتها فتح عنها أيها الجبري
إن كان فيها ما يسوءك من ديني فليس عليك من وزري
دعني وما ضممتها فبه أرجو النجاة صبيحة الحشر

ثم صدرت منه عليه السلام شاهدة له بالعلو والكمال، مخبرة بأنه من الشرف في أعلا
يفاعه العال.

ومن تصانيفه عليه السلام شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة وهو مشتمل على
جزأين. الأول الكلام في أصول الدين من التوحيد والعدل والنبوءات والوعد
والوعيد وما يتبعها . والثاني: الكلام في فضائل العترة عليهم السلام وهو يشتمل
على نكت حسنة من أخبارهم، وملح آثارهم، وهو كتاب جليل القدر. ومن
تصانيفه عليه السلام في أصول الفقه: صفوة الاختيار. ومنها في أصول الدين: كتاب
الشافى وهو يشتمل على أربعة مجلدات: تولى الربع الأول على الخصوص وهو يتعلق
بأخبار القائمين من العترة عليهم السلام ومن يصلح للقيام وإن لم يقم، ومن
عارضهم من بني أمية وبني العباس من أمير المؤمنين عليه السلام إلى وقت الإمام المنصور
بالله عليه السلام .

ومن تصانيفه عليه السلام حديقة الحكمة النبوية في تفسير الأربعين السيلقية وهو
من محاسن الكتب التي فاقت، والتصانيف التي راقت، مضمنا إيضاح الألفاظ اللغوية
بشواهدا العربية، وبيان المعاني على نهاية الحسن والتمام، ولقد سمعته عليه السلام يقول:
إنه فرغ من تأليف الجزء الثاني منها في سبعة أيام أو ثمانية أيام، وهو في خلال ذلك

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحلي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُوري الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م . مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

مشغول بتجهيز العسكر إلى بعض الجهات، ورأيت ذلك الجزء بخطه عليه السلام الذي هو المسودة، ومن شاهده عجب من ذلك، حتى إنه لا يكاد يوجد فيه سطر مطموس، ولا مزيد إلا النادر الذي لا يؤبه له، وهذا شيء خارج عن المعتاد، هذا مع أن فيه من الألفاظ الرائقة والكلمات الفائقة ما يقل مثلها في مثله .

ومن كلامه عليه السلام: وقد ذكر معنى الإنابة وأنها الإقبال على الطاعات والقرب المنجيات، ثم قال: فبذلك ينال دار الخلود والرضوان، والروح والريحان، وهي دار القرار ودار الحيوان. ولم لا تكون كذلك وهي دار لا ينفد نعيمها، ولا يظعن مقيمها، ولا يكدر شراؤها، ولا يهجم قباؤها، ولا يبأس أربابها، وكيف لا يعمل لها العاملون، وينيب إليها المنيبون، وأهلها في الغرفات آمنون، وفي منازل اللذات قاطنون، يمسون بين ثياب العبقري الأحمر، والسندس الأخضر، والطميم المدثر والدمقسي المصور. ثياب خلقها الجبار، لم تصنع في هذه الدار، ولم تر مثلها الأبصار، لم تنسب إلى تنيس ودمياط، ليست بقهرية ولا قوهية ولا سيرية، ولا مفوفة مزورة، ولا حضرمية محبرة، ولا تنيسية مهلهة، ولا هشامية مثقلة، ففي ذلك فليتنافس المنافسون^(١).

ومن كلامه عليه السلام: ومن للمخف باللاحاق، إذا أرسلت^(٢) خيل السباق، وألصق القطيع بالساق، وكان إلى الحكم العادل المساق، فكم من متجلد مقطوع الأباهر، ومن ذي جلد للخد عاثر، وكم من موفق فاز بقدح القامر، وحد الواتر، فمن أهتمه القناعة إلى السعة فاز، ومن أهتمه الرغبة إلى الضيق عطب .

(١) حديقة الحكمة النبوية ٤١ .

(٢) في (أ): وقد أطلقت .

ومن كلامه عليه السلام في هذا الكتاب قوله: فانظر إلى أمية الطاغية، وفتتها الباغية، وعزتها العالية، ونخوتها السامية، وسطوتها العاتية، فهل ترى لها من باقية؟ دهمتها الداهية النآد، فألحقتها بظالمي قوم عاد، بعد أن طغت في البلاد، وأكثرت فيها الفساد، ووثرت المهاد، وثبت لها الوساد، وملكت النجاد والوهاد، حتى كان يخطب للواحد منهم كل يوم جمعة على ثمانين ألف منبر على رؤوس الأشهاد، فأى طمأنينة أعظم من هذه، فأحدث الله بعد أمر أمرا، فأصبح المهني بهم معزى، ﴿ هَلْ تُحْسُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ﴾ [مریم: ٩٨] فيا له من إزعاج ما ألمه وأهمه وبطش ما أشده وأطمه، وإن نظرت في أمر الجاهلية فكم من واعظة جلية، أين العمالقة والأكاسرة! والتبابعة والقياصرة! والفراعنة والمناذرة! وترتمم الواترة، فردوا في الحافرة، وطرحوا في الساهرة، فباءوا بصفقة خاسرة، وتجارة بائرة، فأصبحت قبورهم عامرة، وقصورهم دائرة، فهل يأمن الدنيا بعدهم لبيب أو يسكن إليها أريب^(١) .

ومن كلامه عليه السلام في صفة الجنة: فيها قصور مشيدة، وقباب معمدة، وعقود مكلفة، وخيام مجللة، وأنهار مطردة، وحدائق متسرده مشيدة بالذهب والفضة، معمدة بالياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، واللؤلؤ والجوهر، طينها من المسك والعنبر، فكيف يصف الواصفون وصفا قال الجبار القادر^(٢) كن فكان، هل يزهدها فيها زاهد، أو يرقدها عنها راقده، وأما النار فالنار غضب في غضب، ولهب يعلوه لهب، وأدراك متناهية في الهبوط، ونقم دائمة السقوط، لا يرحم باكيها، ولا يشكا

(١) حديقة الحكمة النبوية ١٢٠ - ١٢١ .

(٢) في (أ): أمرا قال له الملك الجبار:

شاكيتها، كلما نضجت جلودهم بدلها الباري^(١) جلودا غيرها ليذوقوا العذاب، فلم ينام هاربها ويرد نصيحة المخوف منها .

ومن كلامه عليه السلام: في هذا الكتاب قوله: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، فكيف يعمل لها مع إدارها عمل المستقبلين، أو كيف يركن إليها الحاضر الفطين، وقد حلت لنا فيها المثالات بأبنائها الفارطين، ولقد عاينا من إدارها عن المقبلين عليها رؤية عين اليقين، فكم لها من ضريب وطعين، وطريح ودفين، أبدت لنا محاسنها الفتانة، وتدفرت بالعفة والأمانة، حتى إذا تمكنت مخالب حبه في شغاف قلبه، وألب ودها بلبه قلبت له ظهر الجحش، وجرعته كؤوس المحن، فأضرمت عليه نيران الفتن، وقلبت لوجهه حيران، وأهبطه العشا منها على سرحان، فخان فيمن خان، ودين بما دان، وقيل كان وما كان، فلم تغنه الأحزان^(٢)، ولا ترفع منه الأشجان . إلى غير ذلك من فرائد كلامه الغر الثمينة، وإنما قصدنا التنبيه دون الإكثار .

ومن تصانيفه عليه السلام: الرسالة الهادية بالأدلة البادية في السبي وما يتعلق به، وهي بالغة النهاية . ومن كتبه عليه السلام: الدررة اليتيمة في تبين أحكام^(٣) السبي والغنيمة، فصل فيها شيئا حسنا في السير، وأوضح الكلام في مسائل أوردها موردها من فقه العترة عليهم السلام، فجاء فيها من الكلام بما يوازن اليواقيت . وقال فيها عليه السلام: لأن موردها تعمق في الإيراد، ولم يسلك طريقة الاسترشاد، كم بين من

(١) في (أ): بدلناهم جلودا .

(٢) في نسخة لقم يعنه الأخوان .

(٣) في (ج): ساقطة: أحكام .

شغله^(١) يتفقد حرمه وأغراضه وعنابه وإباضه، وبين من شغله بطغيه واعتراضه
وتجارزه وإبغاضه:

يطرق إطراق الكرى لكي يرى ما لا يرى

حدد مداه ليقطع ما أمر الله بوصله، ويقضي على العلم بجهله، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
الرَّسُولِ وَالْيَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ [النساء: ٨٣] ويقول:
﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] فكيف تثبت طاعة
مع الخلاف والنزاع، والاعتراض على ولي الأمر في الأفعال والأوضاع، إنما هو فجراً
وبجر، فرحم الله امرءاً تبصر وتفكر، وعقل الأمر وتدبر، وسلم لمن أمرنا التسليم له،
وسلك من الرشد سبيله، أصل الاعتراض المرض، كما أن أصل الشقاق^(٢) الجرح،
هل كان في الوصي المعصوم لقائل مقالة، فقطع العباد المجتهدون على كفره^(٣) لا
محالة، بعد شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالعصمة وزوال الوصمة، ما
كان أحوج أهل الدين الصحيح إلى العمل بالجد والاجتهاد فيما وقع فيه من الباري
سبحانه للنص الصريح في إعزاز الدين ومنايذة المعتدين، أصلح شسع النعل، وتأبد
عن الإسلام بالحجارة والنبيل، وكن ضحيعاً للحسام، واصبر صبر الكرام، فإنما هي

(١) في (ج): ساقطة: شغله .

(٢) الشارقة : غصة تقول أخذته شارقة كاد يموت منها ، الجرح والجريض ك الريق يغص به . المنجد ٨٧،

. ٣٨٤

(٣) في (أ): أمره .

شهقة وقد أفضيت إلى دار المقام، فيما إلى سعادة دائمة، وإما إلى شقوة لازمة، كم بين الودع والورع، والبازل والفرع^(١) .

ومنها قوله عليه السلام: اهتم نفسك لا إمامك، وتقدم فالصلاة أمامك، لا تضرب وجه الجواد السابق، لتصدّه عن الغاية فتكون للناس آية، ما أحوج السلاح إلى الحملة، والعلم إلى العملة، يا طالب الدين لا بد من الآلة لا تقوم مقام الدرع الغلالة، انصب وارغب فلا تتعب ولا تتعب، فالدين نهج قويم، وصراط مستقيم، اليمين والشمال مضلة مزلة، والوسطى توصلك بجوحة الملة، تنيمك في الأظلة، لا بد للمسافر من زاد ومزاد، ولا بد للمقاتل من سلاح وعتاد، انظر لنفسك ولا تقيدّها بالوكل، ولا تعللها بليت ولعل؛ فإن هول المطلع شديد، والشاهد عليك عنيد، إن من التكبير ما يكتب على صاحبه كبيرة، فنسأل الله حسن البصيرة، سبح ما استطعت بكلمة أو حركة، ففي القليل مع الاستقامة البركة^(٢) .

ومنها قوله عليه السلام: قليل من العلم يحتاج إلى كثير من العمل فإياك أن ينتظمك المثل (سعيت ورحج الجمل) كم بين من شغله علاج دبر جواده ممن همه التعلل في إيراده.

لو أن سلمى شهدت مطلبي تمنح أو تدلج أو تعلني

إذا لراحت غير ذات دلي

الإسلام عند المستحفظين به غض، وأديمه لديهم أبيض نض، وعند سواهم أسود اللون، شاحب الجبين، لا يعرف مع التوسم والتفرس إلا بعد حين، وذلك لأنهم طلبوه في غير مطلبته فلم يتحصنوا بجنته، للعلم أرباب وللدين نصاب، آل

(١) انظر مجموع الإمام عبد الله بن حمزة ١٧١/٢ - ١٧٢ .

(٢) انظر مجموع الإمام عبد الله بن حمزة ١٧٣/٢ .

محمد أربابه وفيهم نصابه، إن أقدموا فأقدموا مصممين، وإن أحجموا فكونوا محجمين، إن التقدم على الإمام تأخر عن شريف المقام، التأخر عنه دين وشرف، والتقدم عليه شين وسرف^(١) .

ومنها قوله عليه السلام: إن شككت في قضية السبية فاجث عن الحنفية يا ورع يا أروع، أين أنت عن قصة الوصي الأنزع، بالغت^(٢) للسنة في نتف الإبطين، وغفلت عن قصة أبي السبطين^(٣)، **ومنها قوله عليه السلام:** هلك من كذب القطا^(٤)، وركب في أمره متن الخطا^(٥)، لو ترك القطا لنام فعلق رأسها للجام . **ومنها قوله عليه السلام:** **لكنها فإنا حلت الكئيب من زرود لأفرغا** ا يصلح آخر هذا الدين إلا بما صلح به أوله، تنبيك بأيام الصيف حرمة^(٧) .

ومنها قوله عليه السلام: ما كان أحوجنا من مورد السؤال إلى المعرفة والنصرة بئس السجية التغرب بعد الهجرة، قال الصادق الأمين عليه وعلى آله صلوات رب العالمين: ((من جهز غازيا أو خلفه في أهله كان له مثل أجره))^(٨) فما حاله إذا

(١) أنظر مجمع الإمام عبد الله بن حمزة ١٧٣/٢ - ١٧٤ .

(٢) في (أ): تابعت .

(٣) أنظر مجموع الإمام عبد الله بن حمزة ١٧٥/٢ .

(٤) القطا: طائر معروف سمي بذلك لتقل مشيه واحده قطاة ، والمثل : ((لوترك القطا لنام)) يضرب مثلا

لمن يهيج إذا تُهيج . لسان العرب ١٢٤/٣ .

(٥) في (أ): وأمن في أمره من الخطا .

(٦) هكذا في المخطوطات ولكن رسالة في هذا الموضوع متصله فليس لها معنى ، أنظر مجموع رسائل الإمام

عبد الله بن حمزة ١٧٥/٢ .

(٧) أنظر مجموع الإمام عبد الله بن حمزة ١٧٥/٢ .

(٨) الترمذي برقم ١٦٢٩ ، وابن حبان برقم ١٦١٩ ، والترغيب والترهيب ٢٥٤/٢ بلفظ مقارب .

الحدائق الوردية في مناقب أنمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحلي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُورِي الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

لسنه بلامه، وطعنه بكلامه، وثبط عنه بتشكيكه وإيهامه، وعض كالتأسف على
إيهامه.

يا خاطر الماء لا معروف عندكم لكن أذاكم إلينا رائح غادي
بتنا غروثا وبات البق يلسعنا يشوي الفراخ كأن لاحي في الوادي
إني لمثلكم في سوء فعلكم إن جئتمكم أبدا إلا معي زادي

هذا الشاعر المسكين تأذى من لسع البق والطوى، فما لنا بمثل حاله والبلوى بمثل
حالته^(١).

ومنها قوله **السَّيِّئَاتُ** في صفة هذه الرسالة: فلما تكرر السؤال من الأصحاب،
وحق لكل سائل^(٢) أن يجاب، أنشأنا هذه الرسالة وسميناها (بالدرة اليتيمة في تبين
أحكام السي والغنيمة) على أشغال تبليل البال الساكن، وتلحق المقيم بالظاعن، ثم
لم تتمكن فيها من البسط، وإن كان فيها بحمد الله ما يغني عن الرحل والحط،
اعتراض البرق يدل على الحياء، وإن تعذرت مشاهدة الرباب، وقيل إن السبع المشابي
هي أم الكتاب فليتدبرها الإخوان بعين الإنصاف، فلعلها إن شاء الله تنزل منزلة
الألطف، وتعرف المسترشدين ما عرف أهل الأعراف، ويكون ما فيها كاف
شاف^(٣).

ومن كتبه **السَّيِّئَاتُ** الأجوبة الكافية بالأدلة الوافية وفيها يقول **السَّيِّئَاتُ**:
إذا غضب الفحل يوم الهياج فلا تعذلوه إذا ما هدر

(١) أنظر مجموع الإمام عبد الله بن حمزة ١٧٦/٢ .

(٢) في (أ): محب .

(٣) أنظر مجموع الإمام عبد الله بن حمزة ١٧٧/٢ .

أنا ابن معيد صدور الجياد
أينكر حقي برجم الظنون
فإن سُيِّرت سيرتي باليقين
أست الذي شق بُرْد الضلال
وعزم توارثته من عليّ
لساني كشقشقة الأرحي
والدم منها يحاكي المطر
وهل يكتم الناس ضوء القمر
كانت لعمرك خير السير
بفكر يَشُق الحصى والشعر
وحزم تعلمته من عمر
أو كالحسام اليماني الذكر^(١)

ومنها الأجوبة الرافعة للإشكال والفاخرة للأقوال . ومنها الناصحة المشيرة بترك
الاعتراض على السيرة . ومنها كتاب الإيضاح لعجمة الإفصاح ، وأكثر هذا فيما
يتعلق بباب السير، فقد كان الناس بعد عهدهم بالعلم حتى كثر اعتراضاتهم ففصل
العلامة في هذه الكتب من البراهين على صحة أفعاله ما يبهر العقول ويردع الجهول،
ولقد قال العلامة في بعض تصانيفه لما كثر الاقتراح عليه والتعنت، وأن لا يجب إلا
من أقوال الأئمة دون السير فقال: فحملنا أيده الله ما لا طاقة لنا به، ولم يأت البيت
من بابه لأن السيرة النبوية والأعمال الصحابية هي الأصل في الفتاوى الشرعية، أو
الأعمال الدينية؛ فحال هذا المسترشد في سؤاله كحال من يقول لغيره أو صلي إلى
بلد كذا وكذا، ولا تسلك بي طريقه. وهل صنف الأئمة عليهم السلام إلا ما بنوه
على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأعمال السلف رضوان الله
عليهم مجتمعين؛ فيكون أصلا لاحقا بالأصول، أو مفترقين فيكون مذهبا ودينا
يفتقر^(٢) إلى الترجيح والتعليل، ثم قال العلامة: والذي ذكرنا علم إن لم يوجد فيما

(١) ديوان الإمام عبد الله بن حمزة ٣٢ .

(٢) في (أ): يرجع .

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحلي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُوري الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

مضى من علوم الأئمة عليهم السلام الحق بها، وحمد الله أهل هذا المذهب على ما
من الله به عليهم واختصهم به من كون الهداة الطيبين فيهم، وسعة علومهم، وتواتر
ذلك كذلك مع بقاء التكليف.

وكان كل من سأله عليه السلام ممن له أيسر معرفة، يروم المطالبة بالدليل، فكان
عليه السلام يسلك بهم طريقة الرفق واللين، إذ كان ذلك شيمة له معروفة، وسجية
مألوفة، وطريقة موصوفة، وشنشنة^(١) مشهورة .

ومن كتبه عليه السلام الرسالة الكافية إلى أهل العقول الوافية . ومنها الرسالة النافعة
بالأدلة القاطعة، وذكر عليا عليه السلام وفتحه خير، فقال في حقه ومن تقدم عليه من
الصحابة:

قد عرّفوا طرق التقديم لوعرفوا	لكنهم جهلوا والجهل ضرّارُ
ساروا برايته فاسترجعوا هربا	والخييل تعثر والأبطال فرار
حتى إذا انسد وجه الفتح واحتلجت	خواطر من بني الدنيا وأفكار
نادى أبا حسن موفي مواعده	صبحا وقد شخصت في ذاك أبصار
فجاء كالليث يمشي خلف قائده	إذ كان في عينه ضر وعوار
فمج فيها بريق طعمه غسل	وريجه المسك لم يفضضه عطار
وقال خذها وصمم يا أبا حسن	فكان فتح وباقي الجيش صدار

ومنها دعوات عدة:

منها الدعوة العامة التي ابتدأها، وفيها من غزير الكلام، وبديع النظام ما يدل
على علو منزلته في العلم، ودعوات عدة بعدها. منها دعوته إلى إسماعيل، ومنها

(١) الشنشنة: الخلق والطبيعة . مختار الصحاح ٣٤٩ .

دعوته إلى حكو، ومنها دعوته إلى حوارزم شاه، ومنها دعوته الأخيرة إلى أهل اليمن جندهم ورعاياهم، أنشأها في سنة اثني عشرة وستمائة بكوكبان، ولقد جمع فيها على التحقيق علما جما، ففيها في الوعظ والتذكير ما يأخذ بمجامع القلوب، ويصد عن ارتكاب الحوب، وفيها كثير في فضل العترة عليهم السلام، وفيها كلام في حكاية أحوال كثير من خلفاء بني العباس وما فعلوه ببعضهم بعضا من أنواع النكال، وفيها طرف من السير، وفيها الحث العظيم على الجهاد، وغير ذلك... ولم يرد دعوة مثلها لأحد قط فهي من عجائب العلم وكلامه عليه السلام عجيب .

ومن كلامه عليه السلام فيها قوله: فرحم الله امرءا نظر لنفسه قبل أن يغلق الرهن، ويظهر الوهن، وتتعدر الرجعة، ويخب النجعة، وييلس المحرمون، ويقال (اخسئوا فيها ولا تكلمون) [المؤمنون: ١٠٨] فيا لها من كلمة ما أفجعها! وموعظة ما أوجعها! إن صادفت قلبا حيا ولم يلو على النهج ليا . ومنها قوله عليه السلام: هلموا رحمكم الله إلى نور مصباح الزجاجة، ودهن زيت الزيتون، وراية ما خفقت على رأس مسلم فدخل النار، لا يشرب عليها الخمر، ولا يسمع العزف والزمير، ولا يظهر من المعاصي ظاهر إلا أنزل بصاحبه حكمه من الرجم فما دونه، فأما من غبا أمره فحسابه إلى الله، كم بين من يؤمن أهل المعاصي وبين من يخيفهم ومن يعاقبهم ومن يشوقهم ومن يسلبهم ومن يسبقهم ومن يطردهم ومن يضيفهم ما سمعنا رحمكم الله الملاهي، ولا درينا قبل كسرهما بالعيان ما هي، كما قلنا في بعض الأشعار:

ولا الفواحش إلا حين ننفئها

لا نعرف الخمر إلا حين نرقها

ملاة غمرت جسمي حواشيها

أنا ابن من نسجت آي الكتاب له

ومنها قوله عليه السلام: ما خالفنا أبو حنيفة ولا الشافعي ولا مالك، فانظر أين تضع قدمك يا سالك، وهؤلاء فقهاء الأمة، فهم بحمد الله أتباع آبائنا الأئمة رحمة الله على أولئك، وعلى آبائنا أفضل السلام، أين النبع من الثمام، والجود من الرهام، واليحموم من الغمام، ما أنصف نفسه من خدعها، ولا رفعها من وضعها . ومنها قوله عليه السلام: نحن أهل التحريم والتحليل والتزويل والتأويل، أعلام الهدى، وأقمار الدجى، بحار العلم، وجبال الحلم، فلا تعدلوا رحمكم الله عن مناجنا، ولا تسلكوا غير فجاجنا، فإن الفتنة بنا مطرودة، والرحمة إلينا مردودة، اتباع الحق أحجى، وسلوك منهاج الذرية أنجى، كم بين من يعتزي إلى أهل الكساء ومن ينتسب إلى نهاوند ونسا!! ليس من أحسن كمن أساء، ومن لان كم قسا، يا أهل اليمن قد طالما سحبتكم ذيول الفتن، وتجرعتم كئوس الحن، ورفضتم عترة الحسين والحسن، وجرتكم في خلاف العترة على سنن، فانظروا لأنفسكم نظرا يخلصكم عندنا اليوم وعند الله غدا، فإن الله لم يخلقكم عبثا ولا يهلككم سدى، ومنها قوله عليه السلام: إن العجب كل العجب فيمن صدق الوعد والوعيد، وأعطى نفسه من الهوى ما يريد، اجعلوا أنفسكم لوامة ذمامة، إن أردتم الفوز يوم القيامة لا تعوقوها في الخير من طريقها، ولا تشرقوها بريقها، الجنة تحت البارقة، الجنة تحت أطراف العوالي، خوضوا أبحار الختوف وناطحوا أشفار السيوف، واستهونوا المخوف، وكونوا فوارط لا خلوف، وابتدلوا الدروع لا الشفوف، واركبوا الذريع لا القطوف، إن أردتم حلول ذات القطوف، ألا إن للدين دعاة فيها نحن من سادات دعائه، وإن له حماة فكونوا من أفضل حماته .

ومنها قوله عليه السلام: ألا وإن دين الله محروس بنا ومحوط بهيبتنا، وما زال الله منا غاضب، نشيط على أطراف الأسنة وحد القواضب، تخفق منه قلوب الجبابرة على

متون الأسرة، ويتركها على الأظرة، فكم من مظهر للنسك لم تكن من عادته لهيبتنا، ومن متأله وهجيره الجبرية مخافة سطوتنا، ألم يلبس هارون المسمى بالرشيد الصوف، ويفترش اللبود، لما قام يحيى بن عبدالله ٤ بالديلم، وأظهر من الصلاح ما لم يكن يعلم . ومنها قوله عليه السلام: لست بجبري ولا رافضي ولا قدرني ولا معتزلي ولا مرج ولا غال ولا ناصب، قال: انما هو فخر أو بجر، كم بين السراب والشراب، والقطر والقطر، اغترف من النهر الطالوتي، وفارق الجيش الجالوتي، حاذر أمواج الانتقام المتلاطمة في حرب أبناء فاطمة، كم بين الرشد والغبي! والميت والحي! والعطاء واللي! والنفث والكي! لا تكابر الدليل العارف فيجتزفك الجارف، تابع مرشدك واشدد به عضدك، ولا تهلك نفسك وولدك، ولا تؤثر لددك، وارخص للقبول جلدك، ولا تقطع من البارئ مددك، ولا توغر جددك:

إمام لقد حاولت نقل شمام	أمن غير أبناء النبي محمد
لجمع حطام أو لشرب مدام	وهل يستحق الأمر من جُلُّ همه
زمام لـدين الله أي زمام	تمسك بأبناء النبي فإهم
إذا قيل للوفد ادخلوا بسلام	لتنجو مع الناجين من كل موبق
فاعدد لـذاك اليوم خير إمام	سيدعي الوري ^(١) يوم اللقا بإمامهم

لا تصحب الخائف فتكتب في زمرة الخائفين، ما أنفعها من كلمة لو قبلتها قلوب العارفين، زك نفسك فقد أفلح من زكهاها، ولا تدسها فقد خاب من دساها. ومنها قوله عليه السلام: كيف يلبس العاقل على نفسه حق آل المصطفى، وقد طبق الآفاق وطفاء، ما كان حديث الغدير يخفى، ومن لنا بأهل الوفاء. علينا نصب الدليل وعلى

(١) في (أ): الملاء .

الأمة الاستدلال، موجب إرث الجنين الاستهلال، ما عذر من سمع الصوت عاليا بالدعاء إلى الرشد في ترك الإجابة وتعدى سبيل الإصابة، ما قدر كان وما حان حان، لكل نباء مستقر، والعاصي إلى سقر، يا طالب الرشد من غير أهله، أنت كطالب الدر في الحجر، والياقوت في المدر، إن للخير وللشر معادن، لا تجري مع عتاق العراز الكوادر، أين السنام من السناسن^(١)، والذروة من الفراسن، والقبائح من المحاسن، والأوابد من الدواجن، إن أردت النجاة فاتبع الهادة، كم بين المرشد والمغوي، اسلك مسلك الرشد ترشد، ولا تبعد من الخير تبعد، وكن كالجمل الأنف في الانقياد للهدى، وكالسبع النافر عن الغي والردى، أنزل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة العين من الرأس، فإنه لا يصلح جسد لا رأس فيه، ولا رأس لا عين فيه، ما ضر من سمع واعيتنا أهل البيت لو سعى إلينا ثم تفقد أحوالنا، فإن رأى رشدا تبعه بيقين، وإن رأى والعياذ بالله غيا فارقه مع المفارقين، وفاز ببرد علم اليقين، إن على العاقل عند التخويف أن يحاذر، وإن كذب المخوف في النادر، إن سلكت سبيل السلامة فاعرف شروط الإمامة، واطلبها في مدعيها إن كنت ممن يعيها، إن الدعاوي متساوية من المدعين، ولكن أين الثمد^(٢) من المعين! والشك من اليقين! التفاضل بين البيئات، ولا إشكال في المتعينات، لا تستوي الدرّة ولا الصدفّة، ولا الأريكة و الحصفّة، ولا الزيتونّة واللصفّة، كم بين من يدعي الإمامة وشاهده زرزر والموصلي وبر صوما وحنجفة وسلامة، ومن يدعيها فيملاً البلاد صلاحاً وعلوماً، ويظهر عليه من الخير سيما ويشهد له الفاضل والعلامة. من أنصف نفسه أنعم النظر في نجاتها، ومن تحرى رشده سعى في حياتها،

(١) في (ج): السناس .

(٢) الثمد: المال القليل .

ماضر من أتعب نفسه مدة يسيرة لنيل ملكا كبيرا، وحاسبها على القطمير والنقير،
فجاء موقف القيامة وقد أحرز السلامة، وفاز بالكرامة، ونجا من أهوال الطامة،
رحم الله امرءا أخذ بعنان فرسه، وطار في سبيل الله إلى الهايعة، واستظل باللامعة،
وجعل أشعة الحديد سراجا، وشق برد العجاجة، ودعا في فوارط أنوف الرجال
نزال نزال، وصاح بأعلا صوته لعلو صيته، وشرف نيته، يا أيها الجند المجدد،
والحشد الملبد، حسبي عيال محمد، لا خلف لي عنهم ولا أمام، ولا نكول ولا
انهزام، إن البيعة أخذت على المسلمين بيعة الإسلام، رويناه مسندا على أن يمنعوا
رسول الله ﷺ وذريته من بعده مما يمنعون منه أنفسهم وذريتهم، فوفى بها الله من
وفى وهلك بها من هلك، فانظر على من الشقوة والدرك بأنصار الذرية. أين
النفوس الحرية، والمغارس الذرية، والأحساب المضية، والأخلاق الرضية، والطرائق
المرضية، أين أبي الديبة، ومن لي بأبي الديبة، هلم إلى شرف الدنيا والآخرة، ولبوس
ثيابها الفاخرة، هلم إلى أندية لا يظهر فيها الفحش والفحشاء، ولا تفرع فيها
الأرقش والرقشاء، ولا يتناز فيها بالألقاب، ولا يلعب فيها بالقروود، ولا تسلا
الكلاب للهراش، ولا يلهى بالعيدان والأوتار والمعازف والمزمار، ولا يلاقى بين
الديكة، ولا يناطح بين الكباش، إنما هو ذكر أو فكر، أو تأويل سنة أو كتاب، أو
عظ لذوي الألباب، يأنس بها الملائكة الكرام، وفضلاء الأنام، لا يسمعون فيها
لغوا ولا تأثيما، ولا ينظرون إثما عظيما، ولا فعلا ذميما، فارجعوا -رحمكم الله
بحميد عنايتكم الأمر إلى أربابه، والدين إلى نصابه من أهل بيت النبوة ومعدن
الرسالة ومهبط الوحي ومختلف الملائكة، ليأخذ القوس باريها، وينزل الدار بانيها،
فتجري الأمور على سنن الإصابة، وتسعدوا بودق تلك السحابة، جمع الله على
التقوى شملكم، وبارك فيكم ولكم، وأخذ إلى الخير بنواصيكم، وأصلح دانيكم

وقاصيكم ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] وما وعظتكم حتى وعظت نفسي، ولا دعوتكم حتى دعوتها، وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨] .

وهذه غرر يسيرة وإن كانت كلها في الرفيع من طبقات الفصيح .

ومن تصنيف له عليه السلام في جواب كتاب لبعض العجم: عقدت الفواطم في أعناقنا^(١) التمام، ولواء هاشم في رؤوسنا العمائم، ومن الصريح من الدعوة وقعات الملاحم وضرب الجماجم، وأي فئة لقيناها أو نصفها ولم تسحب ذيل الهزائم؟ ومن هذا الكتاب قوله عليه السلام: وأما علماء العدل والتوحيد الدائنون بتصديق الوعد والوعيد فهم بقولنا قائلون، وإلينا مائلون، وبعلمنا عاملون، يرون ولاءنا جنة وخلافنا فتنة، في جميع أقطار الأرض قد أجابوا دعوتنا سرا وجهرا، نشروا مدائحنا نظما ونثرا، وأفنوا كتبنا طيا ونشرا، وسوف يطلعونها إن شاء الله على الخرصان^(٢) صلعا وزهرا:

أبايَلُ خَيْلِ دِينَ أَحْمَدِ دِيْنُهَا	مَسُومَةُ جَرِيْلٍ فِيهَا يَقُودُهَا
فَوَيْلٌ لِأَرْبَابِ الضَّلَالَةِ وَالْخَنَا	إِذَا خَفَقْتَ فِي الْخَافِقِينَ بِنُودِهَا
وَصَاحِ القَنَا فِي الدَارِعِينَ وَبَدَلَتْ	كُنَا صَيْدِهَا وَازْدَادَ حَرًا وَقُودِهَا
وَعَفِيَتْ الأَثَارُ مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ	وَبَلَتْ لِأَخْذِ الثَّارِ مِنْهَا لِبُودِهَا

(١) في (ج): أعناقها .

(٢) الخرصان: الرماح . القاموس ص ٧٩٥ .

ولاحت كأمثال العقايق بيضها وبانت كألوان الشقائق سودها
ودارت رحا الحرب العوان بشوسها وقام بأيدي الدارعين عمودها
فهذا أوان الحق يسطع نوره ووقت نيار الظلم يبدو خمودها

فحينئذ نقول خلفا وعقرا، ونبدي منكم خبرا ونهتك سترا، ونلقيك بما عملت كتابا تلقاه منشورا، ونقدم إلى ما عملتم من عمل فنجعله هباءا منثورا، ونمشي وقد جعل الله من بين أيدينا نورا ومن خلفنا نورا، فإن قلتم انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا وحينئذ تضرب جلاله النبوة وهيبة الخلافة بيننا وبينكم بسور له باب باطنه في الرحمة وظاهره من قبله العذاب، فترومون الذهاب ولات حين ذهاب، وأنى لكم ذلك وقد أسف العقاب، وحجل الغراب جدلا لخلع العيون وخرق الإهاب، والتفكه بين اللحوم والأعصاب، وليس هذا بعجيب أن يكون، فهل خطر في القلوب يوم وصاب .

ومن هذا الكتاب قوله **السَّيِّئَاتُ**: ولكنك لا تدري أين تولغ لسانك، وتطلق عنانك، وتضع سنانك، قد أعماك البطر، وأصمك الأشر، فصرت كغراب على مشر^(١) لا تفرق بين جنى النحل ونفاخ العشر، تنكر البغي ولا تعرف حقيقة الباعغي، وتحذر من الطغيان وأنت عين الطاغبي، لا تعرف الزواجر فتزجر، ولا تأمل العبر فتعتبر، فأنت كالبهيمة المهملة، والضالة المرسله، لا تعرف من الخير والشر إلا ما شاهدت، ولا تعتذر إن حاردت، تلعب إن أخصبت، وتنكب من أجدبت، جعلت أهل بيت الذكر والرحمة وولادة النبوة ومعدن الحكمة حوارج، ويحك فمن الواجب؟ ما أنت إلا من الهمج الهامج، تستخفه أخف ريح، فيرنح ويطيح .

(١) المشر: شئ كالخوض يخرج في اسم والطلح .لسان العرب ١٧٣/٥ .

ومن هذا الكتاب قوله عليه السلام بعد ذكر جماعة من الأئمة السابقين عليهم السلام: أفهؤلاء بزعمك خوارج، إعرف المداخل والمخارج، قبل أن تحطمك الأنياب اللوامج، فتحرمك الصفو، وتسقيك الحاضج، أفرق بين الخل الذابل والسنم العفاضج^(١)، وبين أضعف الدوارج وبين الفيل السائج، كم بين النبع والعشر، واللب والقشر، والقبس والدخان، والنحاس والعقيان، حولت وبدلت وضيعت وأهملت، وظننت أن الدين يبطل بالغلب، وأن المال يملك بالسلب، لا بد من حدود شرعية توقف عندها ودونها، ويلعن الذين يتجاوزونها، والباطل فرقة ولو انضاف إليه الأكثر، والحق جماعة وإن كان حزبه المشفر.

ومنها قوله: رد و رد القطاة، واحمل في الحوصل والأطحل، لا تحجل في الفلاة محجل فلن ينتقص بحر مجدنا، ولن يستلب شرف جدنا، ولن تفل شباة حدنا: ما يضر البحر أمسى زاخرا أن رمى فيه غلام بحجر

ومنها قوله عليه السلام: ويحك أين السنام من الغارب؟ لقد تحككت بالأفاعي العقارب، وفاخرت الصقور الجنادب، ونازلت الليوث الثعالب، واستهزأت بصنعة السرقة^(٢) العناكب، وأرقلت الأفائل القزعة^(٣) لمصاولة الفحول المصاعب، وساوت الروايا المواقر ضوء أمرد غالب النجايب، كم بين الذروة والحضيض، والصحيح والمريض، ليس قطا مثل قطي، ولا المرعي في الأقوام كالراعي .

(١) الخل: النحيف المختل الجسم . الذابل : طويل الذيل . والسنم: ككتف ، وهو البعير العظيم السنام .
العفاضج: الضخم السمين . القاموس المحيط ص١٢٨٤، ١٢٩٥، ١٤٥٢، ٢٥٤ .
(٢) السرقة: ثياب من الحرير .
(٣) أرقل: أسرع ، وأرقل المفازة : قطعها . والأفائل: مفردة أفيل ، وهو ابن المخاض فما فوقه . ولقزعة: صغار الإبل . القاموس ص١٣٠٢، ١٢٤٢، ٩٧٠ .

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحلي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُوري الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

وله عليه السلام في الفقه الاختيارات المنصورية في المسائل الفقهية، علقه عنه بعض أصحابه، وفيه فقه غريب . وله كتاب الفتاوى وهو مجلد علق من أجوبة السائلين ورتب على المعتاد من ترتيب كتب الفقه .

وكان عليه السلام في الفقه المبرز في ميدانه، الناظم لدره وجمانه، المستنبط لغرائبه، المستخرج لعجائبه، وكم من غريبة جاء بها من غير تكلف مشقة .

ولقد أخبرني الفقيه الفاضل جمال الدين عمدة المسلمين عمران بن الحسن ابن ناصر أسعده الله عن والده العالم الفاضل الحسن بن ناصر رحمه الله أنه كان يقول: إن فقهه عليه السلام فقه طري يشبه فقه الصحابة رضي الله عنهم، وقال لي بعض شيوخنا رحمه الله وهو الفقيه الفاضل بهاء الدين علي بن أحمد الأكوح رضي الله عنه كانت المسألة إذا أشكلت علي [من] الإمام عليه السلام طلبتها فوجدتها لأمير المؤمنين عليه السلام ولزيد بن علي عليهما السلام، وسمعت شيخنا بهاء الدين أحمد بن الحسن الرصاص رضوان الله عليه يقول: أخشى أن تكون إمامة الإمام عليه السلام صارفة للناس عن إمامة غيره بعده، فقلت: ولم ذاك؟ فقال: لأن الناس يطلبون منه من العلم ما يعهد من الإمام وربما لا يتفق ذلك .

ولما صدرت تصانيفه إلى الجيل والديلم صحبة الداعيين سنة أربع وستمائة، وأظل عليها السادة من أهل البيت عليهم السلام وفقهاء الزيدية تداكوا على بيعته تذاك الإبل العطاش عند الحياض، وقالوا: هو أعلم من الناصر للحق، سمعنا ذلك من الواردين علينا منهم مع أنهم في الجيل خاصة لا يكادون يعدلون بالناصر عليه السلام أحدا.

وأخبرني من أثق به وهو الفقيه صالح بن محمد من جهات تهامة رحمه الله
وكان من عباد الله الصالحين أنه سمع السيد نظام الدين يحيى بن علي السلیماني قدس
الله روحه يقول إمامنا هذا عليه السلام أعلم من الهادي عليه السلام .

وأخبرني من أثق به أيضا عن بعض عيون علمائنا رضي الله عنهم أنه كان
يقول مثل ذلك، وقد كان هذا السيد^(١) رحمه الله من أغزر أهل عصره علماء،
وأكثرهم فهما، وهو الذي قال فيه الإمام عليه السلام:

ولو يحيى دعا قدما إليها	لكان بها إماما للإمام
استنهضه للقيام في أبيات آخر يقول فيها:	
دعا الدمع مني بين أروع ماجد	كريم عليم من ذؤابة هاشم
يذكرني الهندي صرمة عزمه	وفكرته في الحادث المتفاقم
أجامع أصناف المكارم مذ نشا	كما جمع الياقوت سلك النواظم
إذا استعجمت بين القضاة قضية	تناول أقصاها بفكرة حازم
بقيت لشيد المكرمات مكرما	ودمت ومن عاداك ليس بدائم
أيحيى أرى الإسلام قص جناحه	ولا ينهض البازي بغير قوادم
وليس لها إلاك يا علم الهدى	وأنت بأمر الدين أعلم عالم

ومن شاهده في تصانيفه عليه السلام علم أن له المزية العظمى، وذلك أنه كان لا يصدده
كثرة الناس حوله عن التصنيف، ولقد شهدته في مجلس الصباح وهو غاص. بمن فيه
يكتب في تفسير القرآن العظيم كتابة مستمرة وهو يسأل في أثناء ذلك عن أمور في
الدين والدنيا فيجيب عنها وإن قلمه لينحدر انحدارا سريعا، وهذه درجة عالية

(١) يعني السيد نظام الدين يحيى بن علي السلیماني .

ومرتبة سامية، ورأيت بخط موثوق به أنه أجاب في بعض تصانيفه من أول النهار إلى حين العصر إلى موضع سماه من التصنيف فعددت ذلك فوجدته بخط متوسط خمس كوامل . فليعجب المتعجبون ولا عجب! ذلك من فضل الله يؤتیه من يشاء. وقل ما كان ينظر عليه السلام في جواب مسألة بل كانت أجوبته على البديهة فإذا سئل عن التعليل شفى العليل ونقع الغليل وأوضح السبيل وجلا الدليل .

وكان عليه السلام في الورع والاحتياط ما يليق بسعة علمه وغزارة فهمه وعرف بذلك في جميع أحواله والحكايات في هذا المعنى كثيرة، وإنما نذكر اليسير ليستدل به على ما عداه . فمن ذلك أنه كان عليه السلام يأتيه قوم كثير في أوقات مختلفة بشيء من الدراهم وغيرها فيقبض ذلك منهم، ثم يشكون شكية أو يطلبون إيفاء حق ونحوه، فيرد ذلك كله بعد إبلاغهم ما يجب إبلاغه . ومنها ما روي أن رجلا أتاه بدينار وسائل يسأله فسلمه إليه، فعاد صاحب الدينار فشكى عليه أمرا فأمر له بدينار عوضا عن ديناره وأن يستبري منه، فقال الرجل: إنه بريء، فقال: قد قبلناه، وهذا صدقة عليك. ولقد رأيت عليه السلام ذات يوم من الأيام وهو قابض على درهم يريد صرفه إلى بيت المال عوضا عن شيء لا خطر له من نقل تناوله، وكان قد جيء به من قوم فدى ومن بعضهم دون بعض فالتبس ذلك .

وكان عليه السلام معروفا بالإيثار على نفسه من حال شبابه، كثير الإحسان إلى الوافدين، جم المعروف للطالبيين، يعطى ما يجد، ويستدين إذا لم يجد، وهذه أمور تعلم باضطرار من حاله فلا معنى للاتساع منها .

وكان عليه السلام في ثبات القلب ومنازلة الأقران، ومحاولة الفرسان، بحيث لا يتمارى فيه اثنان، ولا يتراد رجلاان، وكم من موقف حطم فيه الوشيح، وثلم الصفائح، وكان أمام جنوده معلما، يمشي إلى الموت قدما قدما، حتى انجلى القتام،

وقد فاز بمحاسن الثناء من أهل الأرض والسماء، يشهد لذلك يوم عجيب، وقد قل رجع الكلام، واهزمت جنوده الجمة وهو في وجه العدو، ولا يرغب في التولي عن لقائه حتى لقد دقه الأمير عماد الدين بالرمح دقة لما تفرقت العساكر بعد أن أحب الصبر للشهادة فحاطه الله عز وعلا عن كيد الأعداء، لما انتهى إليه الحال من علو كلمة الدين وإخماد نار الجاحدين، وقطع دابر المفسدين.

وكذلك يوم صنعاء فله فيها المقام الهائل، فإنه دخل في نفر يسير لا يدفع بهم عن نفسه وفيها من جنود العجم خلق كثير إلى سبعمائة فارس وهو المقصود، فدخل عليه السلام غير هائب للموت، وأذن مؤذنه بالأذان النبوي، فصلى وروعه مجموع، وقلبه غير مصدوع، ثم أعلا الله يده، ووفر جنده، وقذف الرعب في قلوب أعدائه، [وكذلك يوم ذمار فإنه كان سابقا لجنوده يذود]^(١) جنود الأعاجم على كثرتها بين يديه كما يذود الراعي غنمه، ولقد أخبرني من كان حاضر الواقعة أنه شاهده منفردا لا ثاني له في الكر عليهم، وقد ذكر ذلك في بعض أشعاره عليه السلام فقال:

وفي ذمار تركت الجيش عن كمل خلفي وكافحتها عن دين معبودي
وكذلك يوم هران وهو حاسر، فأنجلي ذلك اليوم عن مقام له أغر، ولكم له من يوم أغر، عاود فيه الكر واستحى من الفر، وكان قطب رحى الحرب إذا توقدت نيرانها، وتنازلت فرسانها، وتداعت أقرانها، فحينئذ تجده حائضا لغمرتها، متوسطا في لجتها، تارة يحطم القنا في نحور المفسدين، وحينما يعصب بالهندي كبش المعتدين .
وكان عليه السلام حسن التدبير، صائب الرأي، ولقد استقرت أوامره ونواهيته في الأقطار، وكان في الدهاء والحدق والحدس الصائب إلى حد يفوق، ومن عاشره علم ذلك

(١) في (ب): ساقط ما بين المعكوفين .

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحلي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُوري الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

ضرورة من حاله، وعرف مرتبته على أرباب هذا الشأن، وإن آراءه كانت تشرق أنوارها إذا دجت دياجير الخطوب، واعلنكست^(١) وتضاعفت ظلمات الكروب، حتى يستثير الآراء الكامنة الصائبة، ويستنبط أنواع الصواب الباطنة .

وأما كراماته التي خص بها فهي كثيرة لا سبيل إلى استقصائها، وكثير منها يعلم بالاضطرار لقرب العهد إلا أنا ننبه على ما لعله يغمض عن نأت داره، فمن ذلك ما روى لنا الأمير الأجل الكبير عماد الدين شيخ العترة الأكرمين حرس الله ببقائه الإسلام- عن خالته أم الإمام المنصور بالله وكانت في نهاية الصلاح قالت: أمسينا على غير طعام والإمام عليه السلام في حال صغره، فلما نام وهي متيقظة سمعته يمضغ ساعة ثم تجشأ بعد ذلك، فوضعت يدها على بطنه فوجدته ممتليا كما يوجد بطن الشبعان فلما استيقظ سألته: ما أكل؟ فأخبرها أنه أتي إليه بشيء على هيئة الملح فأكل منه حتى شبع .

ومن ذلك ما رواه لنا شيخنا بهاء الدين أحمد بن الحسن الرصاص قدس الله روحه: لما دخل عليه السلام صنعاء المرة الأولى، رأى فوق الإمام عليه السلام وعسكره طيورا صافة من الثمانية إلى التسعة إلى العشرة بيضاء مخالفة لما عهد من الطيور، وهي قصة ظاهرة .

ومن ذلك مجيء فرسه عليه السلام وبغلته عليها درعه؛ وذلك لأنه^(٢) لما دخل المسجد وأحاطت به الجنود وهي إلى سبعمائة فارس لا يرى منها إلا الحدق، ووقف في المسجد الجامع حتى صلى صلاة المغرب والعشاء، وتفرقت تلك الجنود بفضل الله جل ثناؤه وبركته عليه السلام، وخرج من المسجد حتى أتى دار رجل من أهل المدينة ولا

(١) في (ب): واعتكست .

(٢) في (ب): أنه .

علم له ولا لأحد من أصحابه ولا خدمه بالبهايم، فهم في تلك الدار حتى أتى الحصان والبغلة وعليها درعه إلى باب الدار بلطف الله سبحانه وتعالى .

ومن ذلك قصة النشاب وفتح الباب به، وذلك خلاف المعتاد عند أهل البلد وهذا من الأمور المشهورة التي لا يتمارى فيها من له بحث وخبرة. ومن ذلك قصة الأكسح وكانت في المرة الثانية من دخوله صنعاء فإنه كان يمشي على أرباعه فمسح عليه فعافاه الله، وهذا أيضا ظاهر وقد شاهده خلق جم لا يحصون من أهل المدينة على حالته الأولى وحالته الثانية .

ومن ذلك ما روي أن رجلا كانت أسنانه كلها قد ذهبت، فمسح بالتلويح عليه ودعا له فعادت كلها ما تخلف منها واحد . ومنها أنه بالتلويح يوم دخل شبام لليلة باقية من شهر جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وخمسمائة، فوقع على الدار نور عظيم ساطع بعد صلاة العشاء الآخرة واستطار في الأرض حتى أن شيخا كبيرا كان في المسجد الجامع وكان إذا خرج بعد صلاة العشاء الآخرة يتعثر في طريقة لضعف بصره، فخرج فشهد ذلك النور وقال لجماعة معه إني أفرق الليلة بين الحصمة البيضاء والسوداء، قال مصنف السيرة الإمامية المنصورية: وشهدت أنا بذلك ورأيت، وأخرت صلاة المغرب لأجل ذلك النور حتى دخل أول وقت العتمة وبعده، وكنت قاعدا في البيت وظننت أنه ضوء القمر حتى أنبهي من حضر أنه آخر الشهر، فخرجت إلى حجرة فإذا النور ساطع في الجدران، وظننت أنه لم يره أحد غيرنا حتى أصبح المسلمون يروون ذلك في مسجد الغيل . ومنها ما رواه مصنف السيرة عن الثقة الأمير: أن أهل ذمار رووا يوم دخل الإمام بالتلويح أنهم شاهدوا عسكريا من خيل ورجال سدت عليهم الآفاق، وريحا عظيمة كفت

وجوههم وأبصارهم، حتى منعهم التصرف^(١) في القتال، وأنهم يريدون الرمي بالنشاب فتساقط في أيديهم، وربما يتفقا ويتكسر في الهواء، قال: وكانت خيل الإمام عليه السلام نيفا وعشرين، والمغزية دون المائة، فانتهى الحال بعد ذلك إلى تغنم الأموال وأسر الرجال . ومنها الرواية المشهورة الظاهرة أن رجلا من المطرفية الشقية أتى ناحية من بني عبيد بظاهر بلد همدان يطلب شيئا من الزكاة، فعرفوه بتسليمها إلى الإمام عليه السلام، فأطلق لسانه بالسب ثم انصرف إلى جانب القرية فسلط الله عليه كلبة لم تجر عادة لها بمضرة أحد، فوثبت على لسانه فاستخرجتها، وضربتها بأنيابها، فأقام مدة كذلك حتى نفر عنه الناس، ولم يعتبر بل بقي على كفره فأمر الإمام عليه السلام بضرب عنقه . وفي ذلك يقول حسن بن علي العصفري رحمه الله في قصيدة:

أضحى بفضلك ذكرها مشهورا	اسمع أمير المؤمنين قضية
سميته لوداده قطميرا	أنبت بالراسين كلب مسلم
فجرى فعض لسانه تحذيرا	سمع الذي أطرى ^(٢) عليك بسبه
في بطن كل صحيفة مسطورا	ها تلك معجزة غدا لك ذكرها

وروى مصنف سيرته عمن يثق به: أن رجلا أراد نساخة مطاعن لمحمد بن نشوان في سيرة الإمام فشرع في نساختها، فلما انتهى إلى ثمانية أسطر يبست له ثلاث أصابع من يده، فأمسك عن النساخة فعادت أصابعه إلى حالتها الأولى في لينها، فعاد إلى النساخة فبيست مرة أخرى، فأمسك عن النساخة أياما ثم عاد فنسخ ثمان قوائم

(١) في (أ): النظر .

(٢) في (ب): يطري .

فأصابه الله بوجع في إحدى عينيه، ونجم حولها ثلاثة أقاليل فتترك النساخة وانضجع لما نزل به من شدة الوجع، ثم تاب إلى الله تعالى وعزم على ترك النساخة فعوفي .
ومن ذلك ما رواه مصنف سيرته عمّن يثق به: أن صبيا من أهل صنعاء أصابته آفة في عينيه حتى ابيضتا وذهب بصره، فأخذ له كتاب بركة من الإمام عليه السلام فما كان إلا أن تعلق الكتاب في يده فأبصر في الحال وعوفي، وعاد إلى صنعته من الخياطة.

ومن ذلك ما رواه عمّن يثق به ، قال: أصاب بنية لي صغيرة رمد شديد حتى طلع على عينيها البياض ويئسنا منها وخشينا ذهاب بصرها، فأتيت إلى الإمام عليه السلام بقليل من سليط فنفت فيه وتركنا منه شيئا في عينها فعوفيت وزال الألم والبياض .

ومن ذلك ما رواه مصنف سيرته عن جماعة من أصحاب الإمام عليه السلام وهم قدر خمسة عشر أو يزيد على ذلك وهو أحدهم قال: راح الإمام إلى قرية عتم من بلاد بكيل وقد أصابنا جوع شديد، فأتى له صاحب المنزل الذي نزل عنده بقليل من عيش قدر نصف صاع أو دونه ليفطر منه، فأكل منه لقيمات ثم دفع باقيه إلينا فأكلنا منه حتى شبعنا ببركته، قال: وأقسم كل واحد منا أنه قد أصاب ما يكفيه .

ومنها ما رواه مصنف سيرته عن الثقة أن جماعة كانوا في موضع وفيهم رجل مطرفي فأكثر السب للإمام المنصور بالله عليه السلام فلم ينكر أحد منهم، فأنزل الله به صاعقة فاحتملته من بين أصحابه حتى أخرجته عنهم واحترق وخرج صبابه، وصرع أصحابه من هولها .

ومنها ما رواه مصنف سيرته عن الثقة: أن رجلا من البياض نزل به العمى، فرأى في منامه أن رجلا قال له: تعود إلى مذهب الإمام المنصور بالله ويذهب عنك

العمى، ففعل ذلك وتاب مما كان يعتقد فلم يقف بعد ذلك إلا ثلاثة أيام وعاد عليه بصره .

ومنها ما حكاه مصنف سيرته عمن يثق به أن رجلا اتفق بجماعة من المطرفية فأمره بلعن الإمام عليه السلام فساعدهم إلى ذلك، فأنزل الله به الكسح من ساعته، فندم على ما فعل وتاب إلى الله وتضرع إليه وتوسل بالإمام المنصور بالله عليه السلام فرال ذلك عنه .

ومنها القصة المشهورة: وهي أن وردسان لما تقدم إلى ناحية حوث في بعض أيامه فأخرب دار الإمام عليه السلام ثم عاد إلى صنعاء فما تم الأسبوع حتى أنزل الله تبارك وتعالى سيلا لم يعهد أهل هذه الأعصار مثله، وكان قد بنى في صنعاء قصرا شامخا وتأنق فيه وتعمق فهدمه ذلك السيل واستلب كثيرا من أمواله ونفائسه ونجا بعد أن أشفا^(١) على الهلاك، وتعفت آثار القصر إلى غير ذلك من الكرامات الجملة .

وقد وردت الملاحم بذكره عليه السلام وصفته ، فمنها: ما رواه مصنف سيرته عن الأمير الفاضل بدرالدين محمد بن أحمد بن يحيى بن الهادي للحق عليه السلام قدس الله روحه قال: وجدت في كتاب قديم قد كاد يتلف من البلى، وله مائة وعشرون سنة إلى وقت قيام الإمام عليه السلام كلاما في ذكر قيام القائم المنصور بالله، قال: ثم يظهر القائم المنصور بالله في سنة ثلاث وتسعين [وخمسمائة، وكان نهوض الإمام عليه السلام من الجوف إلى دار معين لطلب البيعة ودعاء الناس إلى القيام والجهاد في سبيل الله في أول ذي الحجة من سنة ثلاث وتسعين]^(٢) وهذا موافق لما ذكره في الكتاب .

(١) أشفا: أشرف .

(٢) ما بين المعكوفين ساقط في (ب) .

ومنها ما رواه مصنف سيرته أولاً عن الشريف الفاضل سليمان بن بدر بن عبد الله
بن جعفر قال: وجدت في رواية صحيحة عن محمد ابن الحنفية في شعر:

ووديعه عندي لآل محمد أودعتها وجعلت من أمنائها
فإذا رأيت الكوكبين تناوحا في الجدي عند صباحها ومساءها
فهنالك يبدأ عز آل محمد وقيامها بالنصر في أعدائها

ومنها: ما نقل من أبيات قصيدة قديمة ذكر فيها صاحبها الخوارج، ثم ذكر صفات
الغز التي شوهدت عياناً، ثم ذكر القائم بالحق فقال:

أهل فسق ولواط ظاهر أهل تعذيب وضرب بالخشب
كفروا بالدين ثم اشتغلوا بقراع الناس حيا للذهب
يتركون الفرض والسنة لا يعرفون الله ليسوا بعرب
فهم كالجن من أبصرهم طار رعباً ثم خوفاً وهرب
ينقلون المال من أرض سبأ نحو مصر ودمشق وحلب
فإذا ما الناس ضاقوا منهم في بساط الأرض طراً والحذب
ظهر القائم من أرض سبأ بمي السكن شامي النسب
اسمه باسم أبي الطهر النبي ذاك عبد الله كشاف الكرب
ملاً الأقطار عدلاً مثلما ملأت جوراً وهذا قد غلب
تظهر الخيرات في أيامه وترى الباطل فيه قد هرب
وترى الأشيب في دولته يتمنى كل يوم أن يشب

ومن تأمل هذه الصفات تحقق ما قلناه؛ لأن هذه الصفات المذكورة أولاً هي
الموجودة في الغز بالمشاهدة، ولم يقم الإمام عليه السلام إلا بعد أن أصاب الناس البلاء

الشديد في سهول الأرض وحزونها من هؤلاء الأعاجم، وقوله: ظهر القائم من أرض سبأ ؛ لأن الإمام المنصور بالله ﷺ كان خروجه من ناحية الجوف، وهو يمني السكن شامي النسب ؛ لأن جده أبا هاشم الحسن بن عبدالرحمن ﷺ وصل من الحجاز إلى اليمن ثم صرح بعد ذلك باسمه وهو عبدالله ولم يعلم أن أحدا من أئمتنا عليهم السلام إلى الآن على هذه الصفات، ثم ذكر ظهور الخيرات في أيامه ﷺ وذلك ظاهر وإن شئت فانظر إلى الحديد وكيف كان قد اشتد على الناس وأعوزهم نهاية الإعواز فصار في الكثرة على الحد الذي عرفه كل إنسان .

وأما المنامات الصادقة التي رآها الصالحون في حقه عليه السلام فهي كثيرة. فمنها ما رواه مصنف سيرته عن الشريف الفاضل الحسين بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن محمد بن جعفر بن القاسم قال: رأيت في شعبان سنة أربع وستمئة في منامي رجلا يؤذن الأذان المعروف حتى انتهى إلى آخر الشهاداتين ثم قال عقيب ذلك: أشهد أن عبدالله بن حمزة إمام مفترض الطاعة . ومنها: ما حكاه أهل جيلان في كتاب ورد منهم إلى الإمام ﷺ عقيب إجابتهم الدعوة وإقامة الجمع، وقالوا: إن رجلا من المحققين من العلماء وهو الفقيه القاسم بن إبراهيم رأى في المنام كأن هاتفا يهتف من السماء بأعلى صوته: يا أيها الناس عليكم بالله الأكبر، والإمام الأطهر والنور الأزهر والعلم الأنور عبدالله بن حمزة وإلا فعليكم لعنة الله أجمعين .

وروى مصنف سيرته أن رجلا رأى في المنام كأن رجلا أتاه بورقة وقال:

اقرأ هذه فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم، إلى عبدالله بن حمزة أمير المؤمنين، بشارة له بالجنة وبرائة له من النار بقتله المطرفية.

وهذا الجنس من حكايات كراماته وغيرها يكثر، ولم يعلم أن أحدا من الأئمة المهتدين الهادين سلام الله عليهم أجمعين نقل له ما يقرب مما كان للإمام المنصور بالله ﷺ فضلا عن أن يساويه؛ لأنه قام في وقت قد غلب على الناس فيه الإعراض عن الدين، وضعف النشاط لجهاد المخلين، حتى كان أهل مذهبه من أكثر الخاذلين إلا من عصم الله رب العالمين وقليل ما هم، فأراد الله عز وجل أن يحرك خواطر الناس إلى دعوته، ويحثهم على طاعته بهذه الكرامات التي كان يظهرها عليه حالا بعد حال ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٥] .

ذكر بيعته ﷺ، وانتصابه للأمر العام ومنتهى عمره ﷺ

كانت دعوته ﷺ العامة التي هي دعوة الإمامة وقد تقدم من الجوف إلى الحقل في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وصار إلى هجرة دار معين فأقام بها أربعة أشهر تنقص أياما، وكان في هذه المدة اجتماع العلماء ومحاورتهم له ومناظرته حتى وجدوه بجرا لا ينفده النازح، وخضما لا يفنيه الماتح. وكانت الأسئلة في أصول الدين وفروعه، ومعقوله ومسموعه، ومعاني الآيات المشككة، وفوائد الحديث المعربة، فحينئذ اعترفوا بأن جواده في ميدان الفضل المجلي، وأنه السابق غير المصلي، وتحققوا أنه أولى أهل عصره بالقيام بأمر الأمة، وأنه المرجو لكشف الغمة؛ فلما كان يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين وخمسمائة تقدم ﷺ ومن معه إلى المسجد الجامع فبايعه الناس، وكان أولهم الأميران الداعيان إلى الله سبحانه وتعالى شيخنا آل الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: شمس الدين وبدرالدين يحيى ومحمد ابنا أحمد بن يحيى بن يحيى بن

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحطي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُوري الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

الناصر بن عبدالله بن محمد بن المختار بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليهم السلام، ثم بعدهما الأكابر من فضلاء أهل البيت عليهم السلام، ثم سائر العلماء من شيعتهم رضوان الله عليهم .

وكانت ألفاظ بيعته عليه السلام أن يقول بعد بسط يده: أبايعك على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموالاتنا ولينا ومعادات عدونا، والجهاد في سبيل الله بين أيدينا، فإذا قال الرجل نعم، قال: عليك كذلك ميثاق الله وعهده، وأشد ما أخذ الله على أنبيائه من عهد أو عقد، فيقول الرجل: نعم، فيقول عليه السلام: الله على ما تقول وكيل، وربما أكد فقال: وعلى أن نقيم ألسنتنا بالحق ولا تأخذنا في الله لومة لائم، وربما قال: وعلى الصبر في البأساء والضراء وحين البأس .

ثم أنشأ عليه السلام الدعوة وأودع فيها من الغرائب والعجائب ما ظهره يغني عن ذكره، قال في صدرها: سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، الذي دل على وجود ذاته بما أظهر من آياته، وعلى عدله وحكمته بما بين من دلالته، بعث إلى كل أمة رسولا ليكون نافعاً لهم، عليهم شهيدا، ولهم إلى الخيرات دليلا، وخلف النبوءة بالإمامة؛ لتنفيذ أحكام النبوة في البلاد إلى يوم انقطاع التكليف على العباد، فقال لا شريك له: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧] وصلى على المبعوث بجوامع الكلم، وبدائع الحكم، المفضل على جميع البشر من العرب والعجم، وعلى آله مصايح الظلم، ومفاتيح البهم. ثم أخذ عليه السلام في فنون حسنة من الكلام موشحة بالكتاب والسنة وقال فيها: أترون عبد الله يفتتن بدنيا قد عرف باطنها أيقن من معرفة جلکم بظاھرھا؟ واهتم بأجلھا أعظم من

اهتمام أكثركم بعاجلها؟ يأبي الله ذلك عليه، ورسوله صلى الله عليه، و حدود طابت، و حجور طهّرت، و مواليد شرفت، و مناقح استنجبت، كيف تكون النفوس النبوية العاقلة كالبهائم العاملة، فعليكم رحمكم الله بتقديم التوبة والإجابة، قبل الإقبال والإجابة، فإني أمركم بفعلي قبل الأمر لكم بقولي، وأنهاكم عما أنهى نفسي وأهلي، المساوي لي منكم في السن أتخذه أخوا، والمتقدم أبا، والصغير ولدا، لا آنس إلا بأهل العلم منكم والطاعة، ولا أنفر إلا عن أهل المعصية والضلالة، ومن العجائب أنه أنشأها على أنها محاسن الكلام ما بين صلاة الظهر والعصر لا غير .

واستقر عليه السلام بناحية صعدة حرسها الله تعالى بالمشاهد المقدسة على ساكنيها السلام، و فرق الدعاة والولاية في النواحي والأقطار، والأحكام تجري على موافقة الشرع الشريف، فهو يزداد ظهور الدين الحنيف . وكان للأمير الكبير شمس الدين يحيى بن أحمد قدس الله روحه العناية الأكيدة، والصبر على تحمل مشقة السفر على ضعفه وكبره . حتى لقد روى لنا الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة خلد الله ملكه أنه رأى قدميه قد ورمتا وكثر تعبته ونصبه في بلاد عذر والأه نوم في الدعاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام إلى غير ذلك من الجهات . ووصلت الدعوة الشريفة إلى جهات تامة ومخلاف بني سليمان، فقام بأمرها السيد الفاضل العالم نظام الدين يحيى بن علي السليمان قدس الله روحه وانتشرت في سائر الأقطار، وتقدم الإمام بعد مدة إلى جهة الجوف، فأقام في براقش مدة والناس يفدون إليه من كل ناحية وينقلب منهم من ينقلب وقد شايع وتابع .

وكان الشيخ الفاضل عزان بن سعد عليه السلام من جملة من وصل إليه وكان قد أراد الحج فمر عند الإمام عليه السلام، فلما مثل بين يديه وبايعه قال: والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصورته وثيابه على صورة الإمام وثيابه،

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحلي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُوري الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

وكان منامه هذا من جملة الألفاظ الداعية له إلى الالتزام بطاعة الإمام العَلِيِّ، ثم أمره العَلِيُّ بالرجوع إلى بلاده للدعاء إلى طاعته والقيام بأمر الدين، وكان رحمه الله ذا جد واجتهاد على رئاسته في قومه، وأقام العَلِيُّ في الجوف مدة ثم تقدم إلى جهة اليمن، كلما مر بناحية أصلح فاسدها، وأعذب مواردها، وهدم دور الفساد حتى انتهى إلى المصانع واجتمع معه خلق كثير من كل ناحية، وحضر أكابر الفرقة الشقية المطرفية من الجهة النائية والدانية، فبايعوا وشايعوا واعترفوا بصحة إمامته ثم نكثوا بيعته ومرقوا عن طاعته .

وكان من كلامه العَلِيُّ في ذلك المقام بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيته صلى الله عليه وآله وسلم أن قال: يا معشر المسلمين إن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم^(١) سدى، ولم يشرك في خلقكم أحداً، ولم يوجدكم للذات الدنيا، وخفض المعاش في الحيا، وإنما خلقكم لعبادته، وهداكم سبيل طاعته، وبين السبيل وأوضح الدليل، وجعلكم ممكنين، وعن فعل الخير غير ممنوعين ولا مأسورين، ثم بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم داعياً إلى الدين القويم، هادياً إلى الصراط المستقيم، مبلغاً للرسالة، منقذاً من الضلالة، بشيراً نذيراً، ظهيراً للحق نصيراً، فهدى صلى الله عليه وآله وسلم وبصر، وقرب وبشر، وأنذر وحذر وأعذر، فمن عباده من انتفع واهتدى، ومنهم من اختار الضلالة على الهدى، فذلل الله به أعناق الجبارين فخضعت، وقمع رؤوس المتكبرين فانقمعت، ووضع صياصي الظلم فاتضعت، ورفع ذرى الإسلام فارتفعت، ووسع مسالك الحق فاتسعت؛ فلما أصلح الله به عباده، وأكمل له دينه، قبضه إليه قابلاً له، راضياً عليه؛ فصلى الله

(١) في حاشية (أ): يهلككم .

عليه وعلى آله وسلم صلاة تقارن روحه، وتنور ضريحه، وجعل بعده الحجة علي عباده كتابه المبين، وعتره رسوله الأمين، كما روي عن خاتم النبيين: ((أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى))^(١)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))^(٢) .

أيها الناس: إنه لما عظمت نعم الله لدينا، وجبت طاعته^(٣) علينا، وصرنا أعلم الناس بالحلال والحرام، وأعرفهم بشريعة محمد عليه السلام، وأولاهم بتدبير الأمور، وأبصرهم بسياسة الجمهور، ولم يبق لنا عند الله تعالى في الغفلة^(٤) معذرة في الدنيا والآخرة، قمنا إلى الله تعالى داعين، وإلى ما يرضيه ساعين، ولأمره مطيعين، ولهدية متبعين، حيث قال في كتابه المبين: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فدعونا الناس إلى رضی الله جاهدين، هادين إلى الحق مهتدين، باذلين النفوس والأموال مجاهدين، وقد بلغتكم دعوتنا، وقرعت أسماعكم واعيتنا، ووجبت عليكم بيعتنا،

(١) الحاكم ٣٤٣/٢ ، وقال حديث صحيح على شرط مسلم واخرجه أيضا في ١٤٠/٣ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والطبراني في الأوسط الصغير ٥/ برقم ٣٩٠ ، وفي الكبير ٣/ برقم ٢٦٣٦ ، والبيزار ٣٣٤/٢ رقم ١٩٦٧ من مختصر زوائده لابن حجر .

(٢) المجموع للإمام زيد ٤٠٤ ، ومسلم عن زيد بن أرقم ١٨٧٣/٤ رقم ٢٤٠٨ ، والترمذي ٦٢١/٥ رقم ٣٧٨٦ .

(٣) في (ب): حجته .

(٤) في (ب): ساقطة: الغفلة .

وقد روي عن جدنا سيد البشر أنه قال: ((من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبهها كبه الله على منخره في نار جهنم))^(١) ، وقد طال ما أسبل الظلم رواقه، وألقى على بدر العدل محاقه، وأظهر الشيطان شفاقه، وأخذ على الظالمين ميثاقه، والآن قد أذن الله تعالى بعلو الحق واستظهاره، واشتهار العدل وانتشاره، ودمغ الباطل وحمود ناره، وهدم مناره وانطماس آثاره، فبادروا رحمكم الله فقد وجب عليكم الفرض إلى جنة عرضها السموات والأرض، واغتنموا الفرصة قبل نزول الغصة، واستقصاء كل قصة، وانظروا لأنفسكم مادتم في مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل والسؤال عن العمل . واعلموا أنا قد أطلقنا لمن أنكر دعوتنا وكره بيعتنا المطالبة بالحجة والبيان، والسؤال عن واضح البرهان، والبروز إلى مضمار الامتحان، فقفوا على العينة ؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة، واصدقوا النية، واسلكوا السبيل الجلية، وخذوا الفائدة نقدا لا نسية فهذا الفرس وهذا الميدان، لكل شاسع ودان، ولا تأخذوا في دينكم إلا بالوثيقة، ولا تعملوا إلا على البصيرة والحقيقة، وتعاونوا على البر والتقوى، وتناهوا عن المنكر واتباع الهوى، وزعوا نفوسكم عما تحب وهوى . ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] ﴿ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨] .

وكان الفقيه الفاضل شهاب الدين أبو القاسم بن الحسين بن شبيب التهامي رحمته الله في صحبة الإمام عليه السلام وغيره من عيون أهل العلم رضوان الله عليهم ؛ فقام بين

(١) أخرجه المؤيد بالله في التجريد ٢/٢٥٥ ، والطبري في تاريخه ٥/٤٠٧ في سياق كلام الحسين عليه السلام .

يدي الإمام عليه السلام في ذلك الموقف ^(١) في جهة المصانع، فقال بعد حمد الله والثناء عليه
والصلاة على رسوله ﷺ: يامعشر القبائل، ويا أسود الجحافل، ويا خطباء المحافل،
ويا معشر المسلمين خاصة، دون الناس عامة، إني قائل فاسمعوا، فإذا سمعتم فعوا،
اعلموا أن الأمر الذي كنتم تطلبونه، والنور الذي كنتم توقعونه، وتعدون له الليالي
والأيام، والشهور والأعوام، هاهو في عترة نبيكم ﷺ قد لمع، وضياؤه قد سطع،
وقائمهم بالفضائل قد جمع، وفي العلم

قد برع، وفارق الطمع، وباشر الورع، وفارق الراحة، وجانب الاستراحة،
واشتدت على الظالمين شكيمة، وتقوت عزيمته، وغزرت ديمته، وعلت همته، وقام
في الله تعالى راغبا، ولأعدائه مناصبا، ولصلت جبينه ناصبا، حين بدلت الأحكام،
وعطلت شرائع الإسلام، وشرب المدام، وارتكبت الآثام، واستغني عن الحلال
بالحرام، وكثر الفساد بالبلاد، واستطالت أيدي أهل العناد، فبايعه السادة الأجلاء،
والكبراء الفضلاء، أهل السؤدد الباذخ، والشرف الشامخ، والعلم البارع، والورع
الرائع، من أهل بيت محمد ﷺ وغيرهم من أولياء الله المتقين، والعلماء المخلصين،
وأهل الورع واليقين، بعد الاعتبار والبر والاختبار، فوجدوه خضما لا تنزفه الدلاء،
وطودا لا يناله الارتقاء، وليثا لا تقوله الأهوال، ولا تقوم لصولته الأبطال، وحساما
لا تقوم له الجنن، ولا تروجه الفتن، وعزاما لا يصاحبه الوسن، وجندلة تدمى منها
المحاجم، ويتحاماها المراجم، فاحصدوا رحمكم الله ناجم الشرك، وتعاونوا على
حصاد أولي الإفك، وسابقوا إلى بيعته، وسارعوا إلى طاعته، تحيوا سعداء، وتموتوا
شهداء، فإن عترة نبيكم ﷺ هم السادة القادة الذادة، الحماة الأباة الكفاة، وسفن

(١) في حاشية (أ): في بعض مواضعه .

النجاة التي من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى، لله أبوكم من أي نور
بعده تقتبسون؟ وبعد كتاب الله وسنة نبيه تلتمسون، فمن كان منكم ذا شك
وارتياب، متمسكا من الحيرة بأسباب، فها هو في معرض الاعتراض، واقف نفسه لا
يعي عن جواب، ولا يكل عن خطاب، عالم بالسنة والكتاب، وهو الجدير بقول
جده عليه السلام:

دبوا ديب النمل لا تفوتوا وأصبحوا في حربكم وبيتوا
فإنني قد طال ما عصيت قد قلتموا لو جيتنا فجيت
ليس لكم ما شئتم أو شئتم بل ما يشاء المحيي الميتم
ثم انتضى الفقيه سيفه وقال:
ولو لم أكن فيكم خطيبا فإني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب
أحوض به للضرب في كل غمرة فأثني به عن تلك وهو خضيب

ثم تقدم عليه السلام إلى حصن كوكبان فأقام فيه مدة والأمور منوطة بحبل التوفيق من الله
تعالى، وفي خلال ذلك أقبل إلى طاعته وتبعته من أمراء العجم حكوا بن محمد،
فبايعه رجل من دعاة الإمام في بعض نواحي بكيل، فوصل إلى الإمام وانضاف إليه
من خيل العجم إلى قدر مائتي فارس، فبايع الكل منهم، وصلى عليه السلام صلاة يوم
النحر في شبام كوكبان ونحر وتقدم إلى صنعاء واثقا بالله عز وجل متوكلا عليه،
فلما وصلها وفيها من العجم إلى قدر سبعمائة فارس فتح أهل المدينة الباب فدخل
عليه السلام في سبعة أفراس لا غير وهم أخوته ومن يختص به، وتأخر حكوا ومن معه من
الجند خارج المدينة، وقصد عليه السلام إلى المسجد الجامع فاجتمع جند العجم وأحاطوا
بالمسجد إحاطة الهالة بالقمر، فوقف عليه السلام فيه حتى حضر وقت صلاة المغرب وأذن

المؤذن بأذان أهل البيت عليهم السلام المختار، وقضى صلاته ووقف ينتظر الفرج من الله تعالى والنصر، فأخبرني الأمير الكبير عمادالدين خلد الله ملكه أنه أمره أن يشرف على العسكر من فوق السطح، فلما أشرف عليهم آذوه وسبوه - لعنهم الله قال: ثم إن الإمام عليه السلام أشرف من ذلك الموضع بعينه على أولئك القوم فما تكلم أحد منهم إليه بكلمة واحدة مع مشاهدتهم إياه لهيبته، وانتهى الحال بعد ذلك إلى أن أهل صنعاء الذين معه عليه السلام صوبوا خروجهم من المسجد فألبسوه شيئاً من لحافهم ليتنكر بذلك عمن شاهده عند خروجه، ثم خرجوا به فيما بينهم كأنه واحد منهم وهم يسرون بين العجم فسلمه الله تعالى من كيدهم حراسة لدينه، ولما أراد من حياة الإسلام ونعش مذهب العترة عليهم السلام، فأقام في بعض دور المتولين له جانبا من الليل ثم صوب أصحابه الخروج لعلها تسعف فرصة للخروج من المدينة فخرجوا وقصدوا بعض أبوابها فجاءوا والجند على الباب قد اشتدت الحراسة وتأكدت في كل ناحية وعلى كل باب من أبواب المدينة، فعادوا إلى موضعهم واشتوروا، وخاف أهل صنعاء على الإمام عليه السلام، وأشفقوا لشدة محبتهم فراجعوا، وقال بعضهم: نقف في مسجد غينوه لا يكاد يصله أحد، فلم يصوب الإمام ذلك، ثم اتفق الرأي على أنه يقف في بيت واحد غير معروف ولا مشهور فتقدم عليه السلام وتفرق أصحابه خيفة أن يطلع الصباح وهم كذلك، وبات عيون أهل المدينة من الزيدية يجتهدون في فساد عسكر العجم حتى أفسدوا من الرجل إلى ثلاثة آلاف راجل وكانت لهم في ذلك عناية أكيدة تليق بصحة عقيدتهم وأكد محبتهم لأهل البيت عليهم السلام حتى أصبح الصباح وقد انتظم لهم ما أرادوه، وفتحت أبواب المدينة فدخل حكوا وأصحابه إلى الإمام عليه السلام، ثم أقبل جند العجم الذين كانوا فيها إلى بين يديه حتى بايعوه عليه السلام، وإن من كبارهم لمن ترعد يده عند البيعة رعبا

وخوفا قذفه الله في قلوبهم حتى شملتهم البيعة، وأذن لهم عليه السلام بالانصراف من المدينة فزلوا نحو اليمن، واستقر الإمام المنصور بالله عليه السلام في المدينة ومن معه من الجنود، وجرت الأحكام النبوية على أحسن حال ووفد إليه عليه السلام الناس من كل ناحية، وكان من جملة الواصلين إليه الشيخان الأوحدان عزان بن سعيد ومفضل بن أبي رزاح رحمهما الله تعالى في قوم كثير من جهاتهم بأموال جمّة وغيرهم من أهل الجهات والنواحي، وأقام كذلك عليه السلام ينشر الهدى للطالب، والندى للعافي والراغب .

وقال عليه السلام^(١) هذا الشعر عقيب دخوله صنعاء، وأثنى على أهلها بما كان لهم من العناية:

وبرقا ورعدا لاح وهنّا وأرزمّا	دعا ذكر نجد والحمام بالحمى
وبين هضاب الأبرقين وأصرمّا	ودارا لهم بين العذيب وبارق
خدلجة الساقين معسولة اللما	ومخطوفة المتنين مهظومة الحشى
ودرعا سلوقيا وطرفا مسوما	ولا تذكرّا إلا حساما وذابلا
تمج إلى الأعداء حتفا مقسما	وزوراء يضمي نبلها ما شحية
إذا أشرقت المشرفيّة أظلمّا	وفجرا يرد اليوم ليلا بلأمة
ورضوى أخال متنه ويلملما	كأن ثبيرا مسنفات جياده
ليدرك ثأرا للعلى ولينقما	يقاد إلى قوم طغاة جبابر
ولا تنسيا هذا المقام وسلما	ولا تعرضا أمرا مضى لسبيله
ليشفي أخوا تقوى ويكبت مجرما	وقولا بلا فخر ولا جبرية

(١) الديوان ١٢ - ١٣ مخطوط .

أمثلي يلدن المحصنات مقدما
قذفت بنفسي في خميس عرمرم
ليوث شرى لولا بياض وجوههم
يقودهم حامي الحقيقة ماجد
إذا قال قلت الليث يزأر غاضبا
غدا طائعا لله غير منازع
أقلب طرقي هل أرى العرب جهرة
سوى نفر شم الأنوف غطارف
مسا غير من همدان في حومة الوغا
فلما قربنا الدرب جادت سماؤه
كرجل جراد أم سلمى عمودها
فعدنا فأديننا فرائض ربنا
وتالله ما وطنت نفسي على الردى
وكنت امرءا أهوى الحسام مثلما
وأكره كون الحر خلف جنوده
رجعنا إلى ذكر الدخول وربما
فجاءت أزال جمع الله شملها
فجادوا بفتح الباب وابتهجوا بنا
وقالوا جهاد الظالمين فريضة
إذا هم يوما بالعظيمة صمما
وكنت بنفسي فيه جيشا عرمرما
ولولا العفاف كلما رمت مغنما
ملك يصفى ساحة الملك بالدماء
وإن كف خلته في المفاضة أرقما
ولا فاتح بالمعورات له فما
فلم أر إلا أعجميا مُهَمِّمًا
رأوا خلطهم للنفس بالنفس أكرما
يجرون للروع الوشيع المقومًا
بغيث رأينا منه قذا وتوأما
إلى أن زهته ريح نجد فأقهما
وسرت إليهم حاسرا لا ملأما
لأحرز مالا بل لأرحض مائما
وأهوى الرديني الأصم محطما
وأرضاه عرنينا لهم متقدما
أتى عارض يحكي اللائي منظما
وأسدى إليها الصالحات وأنعما
وقالوا لنا أهلا وسهلا ومغنما
فقد طال ما كنا نهابا مقسما

ستفديك أموال عظام وأنفس
فقلنا لهم خيرا ثناء عليهم
وخضنا إلى أسد العرين عرينها
وما هي بكرٌ خوض مهري إلى العدا
سل الخيل عني في عجيب ومشهدي
ألم ألقها ملء الفجاج مجردًا
وفي بطن هران ألم أحم حاسرا
وكم موقف نلقى به الندب ساهيا
فقل للموك الأرض لا تطمعوا بها
فقد طال ما نلتم حراما حطامها
فمن كان يبغي الفوز فليلتزم بنا

كرام وإن أضحي ذوا الفسق لوما
لكوفهم فيما رجوناه سلما
بصير حسونا منه صابا وعلقما
إذا كاع يوما عنه جندي وأحجما
وقد صار ورد الخيل بالركض أدهما
عن الجيش طلقا ضاحكا متبسما
ذوي الزرد الموضوعون يوما متمما
لقيت به الفتيان ليثا عشمشما
مراغمة ما لاح برق وأنجما
وأحرزتم ذنبا بذاك ومأثما
فعصياننا قد صار حجرا محرما

وقال عليه السلام^(١) بصنعاء وقد امتنع قوم من بني أبي الفتوح بالمشرق من الانقياد فأوقع

بهم حكوا بن محمد وقعة عظيمة، فقال في ذلك:

يا لائمى في مقال الحق لا تلم
إني أبيت قليل النوم أرقني
ليس الفتى من ينام الليل منهمكا
لكن فتى الناس من أمسى وهمته
إني هزرت حساما صارما ذكرا

الحكم للسيف ليس الحكم للقلم
قلب تقلب من هم إلى هم
يفرح النفس بالطاري من الحلم
في منبر الملك لا في الشاء والنعم
يفل في الروع حد الصارم الخدم

(١) الديوان ١٤ - ١٥ .

صمصامة ذكرا تمضي مضاربه
بحرا متى يرض يملاً الأرض نافلة
في عصبه وهبوا لله أنفسهم
ما أنس لا أنس في صنعاء موافقهم
يقودهم ماجد حلو شمائله
أبو المظفر أعلا الناس منزلة
سرّ لآل رسول الله منكم
ينحط من علم ماض ومن طبق
حتى بدا غرة للدهر شادخة
فخان يحيى الفتوحى العهود ولم
فكف عنهم عفافا كف مقتدر
قل لي لسيف الهدى إن كنت لاقية
إني أقول وخير القول أصدقه
إني أحبكم لله فاعتقدوا
من مت منا بجبل نال بغيته
إذا المصلي تولى غير ذاكرنا
لا يسأم الحرب إن العجز في السأم
وإن تغطمط غطى وجهها بدم
غطارف من حماة العرب والعجم
والجيش كالبحر حامي الظهر ملتطم
علياه أشهر من نار على علم
وأضرب الناس يوم الروع للبهم
في سالف الدهر والماضي من الأمم
باق ومن ظهر صنديد إلى رحم
بيضاء خالصة من شائب القتم
يخش العقاب من الجبار ذي النقم
وصال فيها عقابا صول منقتم
يا هازم الجحفل الجرار ذي العلم
والقول يبقى وإن أفنى البلى رمي
حبي وحق إله الحل والحرم
ومن تعدى انثنى بالخزي والندم
كان الوجود لها في الصحف كالعدم

ثم نهض عليه السلام يريد دمار في شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وفيها من العجم خلق كثير فوقع القتال، وكان له عليه السلام في ذلك اليوم العناء العظيم والقتال الشديد، فإنه كان أمام جنوده المعقودة، وعساكره المحشودة، يقذف بنفسه في جموع الأعاجم فقتل من جند العجم ثلاثون فيهم ثلاثة من العرب والباقي من صميمهم،

فأيقنوا بالهلاك حتى سألوا الأمان فأمنهم عليه السلام على تسليم الأموال والكراع والسلاح. وذكر مصنف سيرته عليه السلام أن الخبر شاع في صنعاء يوم فتح ذمار بنفسه، قال ومثل ذلك رواه جماعة من أهل صنعاء ثقات أن فتح صنعاء اشتهر بمضى يوم العيد وتحدث به الناس، واستقرت الأوامر والنواهي في ذمار وأعمالها .

ثم نهض عليه السلام إلى صنعاء؛ لأن بعض العجم الذين كانوا في ذمار كانوا قد قصدوها في خلال ذلك وخطوا على المدينة، فقصدها عليه السلام من ذمار يوم الثلاثاء لعشرين ليلة خلت من ربيع الأول، فلما أيقنوا بالإمام عليه السلام لاذوا بحصن براش ووصل عليه السلام المدينة وأقام مدة، ثم كان بعد ذلك طلوع إسماعيل وقتل حكوا بن محمد والإمام عليه السلام في ناحية خيره^(١)، ثم نهض عليه السلام إلى جهران فتحقق الخبر بقتل حكوا فانصرف عليه السلام إلى بلاد بكيل ومر إلى ناحية مقرا .

وكان من كلامه عليه السلام في بعض الأيام بناحيتهم في موضع يعرف بجرن القيل في سائلة مقرا، وقد تحقق خيانة بعض من يتصرف عن أمره من الفرقة الشقية المطرفية فقال: وقد علمت أن البيضة لم تنحفظ والفسق لم يترفض إلا بالجنود، والجنود لا يستقيم إلا بالمال، والمال لا يؤخذ إلا من الرعية، والرعية لا تجمع على الانقياد للحق إلا بطرف من الشدة، نعم أنعم الله عليك، ومع ذلك فإنهم لو أهملوا لذهب الدين والمال، وانكشف الغطاء، وساءت الحال، وشغلوا عن القيل والقال، ولكنهم تفيئوا في ظل الحق فبغوا للحق^(٢) الغوائل، وجادلوا بالباطل، وهو كاسمه باطل، فلو ضغمتهم نيوب الباطل، وخافتهم المخالب؛ لصيحوا صياح الثعالب، وقالوا: ليس لها إلا ابن أبي طالب، أين عمارة الوهاب من عنس؟ وأين زرعة من

(١) في (ب): في ناحية حشران .

(٢) في (ب): وتفيئوا فيظل الحق الغوائل .

أنس؟ شتان ما بين الحمار والفرس، وتقبلوا في ذكر المناقب، وشهدوا بها من كل جانب، فأنا صاحبهم بالأمس وغدا، أو طأتمم واضح منهاج الهدى، لم أتدنس باحتكار المال، ولا حالت بي عن سنن الاستقامة الحال، وهم يذكرون إتيان الملائم منهم، ولولا خشية التطويل لذكرناهم يعرضون علينا نصف المال، ويلزموننا القيام على تلك الشدائد والأهوال، حتى إذا فقأنا عين الفتنة بعد جذورها، وأخمدنا نار الضلالة بعد ظهورها، وتركنا روض الصريمة ليعفورها، ونصبنا منار الحق على أعلامها وفورها؛ فمن لاقف للمال كاهل اللبق، وطالب أحمال رجل لا تعق، وقائل إن السهاد قد لعق، فقلت: أبشر فالسكيت قد لحق، واحفظ عرى الدين لئلا يحرق . فلما فاءت فئة الباطل وأجلت^(١) وأصدقت زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر وظن كثير من الناس بالله الظنوننا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ، فمن تائب ثابت، ومن هافت خافت ، والله أغير لدينه وأحمى على شرعه، ونحن على موعود ولن يخلف الله وعده، وكيف يخذل بعد العدة بالنصر جنده، وقد هزم الأحزاب وحده، يوم صنعاء وبعده، فكأنك بألوية النصر قد خفقت بالظفر أطرافها، وبيحار التوفيق قد طمت بالظالمين نطاقها، فكم هناك من حائر ملكا حسيما، وقائل يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما:

إذا غضب الفحل يوم الهياج	فلا تعذلوه إذا ما هدر
أنا ابن معيد صدور الجياد	والدم فيها يهاكي المطر
أينكر حقي برجم الظنون	وهل يكتم الناس ضوء القمر
فإن سيرت سيرتي باليقين	كانت لعمرك خير السير

(١) في (ب) سقطت : وأصدقت وأخليت .

ألست الذي شق برد الضلال
وبأس توارثته من علي
لساني كشقشقة الأرحبي
أو كالحسام اليماني الذكر^(١)

ثم لما تقدم إسماعيل إلى صنعاء تقدم الإمام عليه السلام إلى ناحية شبام، ثم إلى ثلا وأنشأ
عليه السلام هذين الشعرين^(٢) قال مصنف سيرته عليه السلام من بعد صلاة الفجر إلى أول
ضحوة النهار قبل انبساط الشمس، أحدهما:

لا تذكرن منازل الأحياب
دارات آرام الصريم وإنما
واذكر بنات الأعوجي ولاحق
والزغف كالغدران أحكم نسجها
ومناصلا زرق المتون كأنها
والماشحية كل صفراء القرى
ومقامة تدع النفوس رخيصة
ليس المحارب كل يوم غالبا
لا تعجبين من جولة في صولة
إني أرقنت وما أرقنت لحادث
لكن لضلة أمة عن رشدها
عني وقد علمت دفاعي في الوغى

بلوى قضيب فأجرعي شرحاب
ليس الزمان زمان ذكر تصاب
شمّ المتون لواحق الأقراب
سردا كجلد الأرقم المنساب
برقّ تعرّض في متون سحاب
وهواك من عتل ومن نشاب
فرسائها والسوق سوق ضراب
كم قد طرى غلب على غلاب
فحوادث الأيام غير عجاب
من فل جيش أو خمود شهاب
ونكوصها عهدا على الأعقاب
عنها وتعظيمي لها ونصاب

(١) الديوان: ٣٢ .

(٢) الديوان ١٥ - ١٦ .

ولقد دعيتي فاستجبت دعاءها
ونضوت عزما من عزائم حيدر
هل تعلماني قد وقفت بموقف
فعالام ينسى الأكرمون مودت
إني ومن عمرت قريش بيته
لا يثلثم الخطب الملم^(١) عزائمي
أفيحسب الأقوام أي نائم
الهول عندي حين يمنع ظهره
إن كنت يا صنعاء أكبر همتي
فليزهد الأعداء في فإني
إني إذا خمد اللئام رأييتني
سأقودها شعث النواصي شزبا
حتى تصعد بالصعيد جياها
وتمر في شط الفرات عوابسا
وتقيم في بغداد يوم قيامة
حتى ترى أبنا أئينا أننا
أبلغ بني العباس صفوة هاشم
من واصل الأرحام غير مقاطع

وهضت هضة ضيغم وثاب
يزري بحد الصارم القرصاب
إلا ويشهد لي ذوو الأحساب
لجهام سيفان^(٢) ولع سراب
لا حلفة الأزلام والأنصاب
أبدا ولا ترخي فضول ثيابي
أو ساهر للهول أقرع نايب
أدنى وأهون من طنين ذباب
وذمار إن ذكرت أجل طلابي
واهي العزيمة ضائع الأسلاب
كالشمس بارزة بغير حجاب
كالبحر ذات تغطمط وعباب
وتظم غزنة من وراء الباب
كالطير تكسر أجنحا لإياب
تنفي شكوك الواقف المرتاب
شم الأنوف حماة كل عقاب
وسلالة العلامة الوهاب
ومشيّع في العالمين مجاب

(١) في (ب): شفار .

(٢) في (ب): العظيم .

إننا أخذنا أمرنا فتبصروا
قد حزموها بالصوارم برهة
فالأآن قرت في محل قرارها
صنو النبي وخير من وطئ الحصى
نور تنقل حالة من حالة
وأبوكم المفضل سلمها له
ودعوا النهاب فلات حين نهاب
غصبا وليس الحق للغصاب
أبناء حيدرة الفتي الضراب
بعد النبي لباب كل لباب
ما بين أرحام إلى أصلاب
من غير إسهاب وغير خطاب

الشعر الثاني ذكر فيه أيامه بالجوف وشكر أهله فقال الديوان: ١٦-١٧:

رويدكما لا تعجلا بلامي
سل الخيل في صنعاء يوم قصدتها
ألم أك رمح الجيش عند قدومه
ويوم ذمار عند مشتجر القنا
وكم موقف ينسى به المرء نفسه
ولي كل يوم همة علوية
يهال لها عرب وعجم وإنما
أنا القائم المنصور منصور هاشم
ولي نفس حر الوالدين مهذب
إذا رمت أمرا لم تمنع صعبه
فلا تجزعا أن كان للحرب جولة
تحملت أعباء الحوادث يافعا
فليس مقام الليث مثل مقامي
بأرعن جرار أجش لهام
وصمصامه لو حل عقد ذمام
ألم يك فعلي قائدا لكلامي
عرفت به ماضي العزيمة سامي
تزيل بإذن الله ركن شمام
تشيب رأس الطفل قبل فطام
حسام رقيق الحد غير كهام
ونفس عصام قد سمت بعصام
وأدنت رؤسا جنحا لخطام
فليس بأيدي الحادثات زمامي
فأكرم بحمال الخطوب غلام

أبي فارس الإسلام غير مدافع
أشد قريش في الهياج شكيمة
فمن أين يعروني اضطراب إذا القنا
(فيا راكبا إما عرضت فبلغن))
وأبناء قحطان وعدنان عن يد
وقل لهم ما عذرکم عند ربکم
وقلت له يا رب لم ينصروا الهدى
ألا رب مفتون بعاجل عيشة
وكم باسط للعهد كفا كأنه
هو العهد والميثاق فالتزموا به
تهنوني بالفتح عند قدومه
أهذا من الإنصاف ما نفع حامل
فقل لي لنهم حيث قر قرارها
أتاني والأنباء تنمى على النوى
سموتم لنجران وكنتم سَمَادِعًا
فأدرکتُم ثأرا لآل محمد
سقاكم مِلثُ القطر من كل حالک
ورعيا لأيام لنا بـيراقش
غداة نجر السم لا اللهو شأننا

علي إمام الحق خير إمام
وأقدمهم في كل يوم صدام
سمت بنجوم في سماء ققام
بني هاشم قومي الغداة نظامي
وكل كريم الوالدين محامي
إذا قادکم بأريکم لخصام
وقد ذدت عن أديانهم بحسامي
عم عن طريق الحق أو متعامي
لغفلته قد مدها لسلام
أنتم نيام أم شبيه نيام
وتأون عني والنحور دوامي
إذا وضعت حملا لغير تمام
وفرسان هذا الحي حي دعام
فعال لكم مسك بغير ختام
كراما وأهل الغدر غير كرام
وأبتم على رغم العدا بسلام
حيي بطي السير غير جهام
لدى قومنا السادات صفوة سام
وما اللّهُو في حَرِّ القنا بحرام

فهل أثلات الواد شرقي مجزر^(١) كعهدي نضيرات الغصون سوامي
ويا ليت شعري هل أبيتن ليلة بشط معين حاسرا للثامي
وما حال دارات لهم قد عهدتها بأيمن سليمان وأيسر حام
بها كل مكسال كأن جبينها سماوة بدر لاح تحت غمام
حمتها رماح الخط في كل غارة بأيدي كرام الجدد غير لغام
فإن تُطهروا^(٢) الآفاق من دنساتها أتاكم سوادي عاجلا وخيامي
أمثلي ينام الليل ملأ جفونه وديني مضيم والعداة أمامي
وكم سائل عن بغيي ثم قال لي مرادك نجدي وأنت قهامي
فكلت له بالصاع ثم أجبته هواك يماني وأنت شآمي
أيعظم من مثلي مرام معظم وسمك محل النجم دون مرامي
ولا بد من يوم تظل به الظبا تمج نجيعا من رؤوس طغام

وتقدم الإمام عليه السلام حتى انتهى إلى أثافت، ولم ينزل عليه السلام يرحض أدران الفساد،
ويسعى في صلاح العباد، حتى جرت الأحكام على موافقة الدين، وخسأت
عفاريت المتمردين، واستحكمت الأمور في الظاهر كله بعد أن كان فيه من الفساد
ما يكثر، فطهره عليه السلام وانتظمت الأمور في الجوف وصعدة وأعمالها، ونجران
ونواحيه، والجهات المغربية، ونفذت دعوته إلى الحجاز فبويع له وأقيمت الجمع في
ينبع وخيبر وكانت الحقوق الواجبة تصل إليه من تلك الجهات على سبيل
الاستمرار، ووصله من وصل من الشرفاء الحسينيين للجهاد في سبيل الله عز وجل بين

(١) منطقة قرب براقش .

(٢) في (ب): تطهر .

يديه، فعز بهم الدين، واشتدت شوكة المسلمين، وكانت الغوائر إلى نواحي تهامة
حالا بعد حال حتى أجلي كثير من أهلها من تتابع الغوائر، وكانت الغنائم تنقلب
بها الجنود حالا بعد حال، واستقر أمره عليه السلام في نواحي مذحج وصلت الجمع فيها،
وقبضت منها الأموال، وكانت تأتيه وقتا بعد وقت حتى كانت سببا لقوة أمره
وظهور كلمته، ونظم الجنود أحسن نظام، وقدر أرزاقهم، وعمر حصن ظفار^(١)
حرسه الله تعالى في شهر شوال سنة ستمائة فكان سببا لانتظام أحواله وسداد
أموره، وأعلا الله كلمة الدين، ولم تزل البعث والسرايا في كل حين إلى أرض
الأعداء تجوس خلالها، وتستلب أموالها، وتسيب أطفالها^(٢)، وتقتل رجالها^(٣).

ثم وجه عليه السلام دعواته إلى نواحي جيلان وديلمان، فبايعوا جميع من بها من
الزيدية، وعلا فيها ذكره، وخطب له في مساجدها، وصلت الجمع، وقبضت
الحقوق الواجبة باسمه، وجاهدوا من يليهم من الجبرية الجسمة والباطنية، وتيمنوا
ببركة دعوته، واستسعدوا بإجابته حتى إن بلادهم كانت قد أصابتها حطمة شديدة
عظمت معها عليهم البلوى، وعضتهم بها الأزمة الشديدة، فما كان إلا ريث دخول
الدعوة إلى جهاتهم، فأبدل الله تعالى بالجذب خصبا، وزالت الشدة عنهم عن قريب
ووردت الدعوة والسعر فيها بالمثل الذهب ما بين ثلاثين قفيزا إلى خمسين، فبلغ
بعد ذلك مائتين وخمسين قفيزا إلى ثلاثمائة بالمثل، وجاهدوا في سبيل الله عز وعلا،
وأقيمت عندهم الحدود، وكانت الأوامر النبوية جارية فيها على الوجه الذي هي
جارية في هذه النواحي .

(١) ظفار داود: حصن أثري في الجهة الشمالية الشرقية من مينة ذيبين على بعد ٧٠ كم شمال صنعاء .

(٢) في (ب): أموالها .

(٣) أنظر السيرة المنصورية لأبي فراس بن دعنم ٤٧٩/٢ ، ٦٣٤ - ٦٣٦ .

ولقد أخبرنا من نثق به وهو الفقيه الفاضل حمزة بن محمود الجيلاني من شدة تشدهم في ذلك بما يكثر حتى إن رجلا من علمائهم ظهر منه تخذيل عن بيعة الإمام عليه السلام فلما علم ذلك بعض الأكابر من العترة عليهم السلام وهو الأمير السيد ظهير الدين أبو طالب بن يوسف الثائري الحسيني قدس الله روحه أمر من صلبه، وكذلك في صورة تشبه هذه، وطرد رجل من علمائهم المشهورين من بلد إلى بلد لتوقفه في إمامة الإمام عليه السلام حتى صفت له عليه السلام الأمور فيها، وكانت الأموال تصل في كثير من السنين من جهتهم، ولم يعلم أنه اجتمع لأحد من أئمتنا عليهم السلام ما اجتمع له من انتظام أمور اليمن والحجاز وجيلان وديلمان قبله عليه السلام وكذلك فإن جميع من في جهات الري من الزيدية كلهم اعتقدوا إمامته عليه السلام وعلاصيته في جميع الأقطار .

وكتب عليه السلام الدعوة إلى ملك خوارزم علاء الدين شاه شاه، واتصلت به على يد السيد الفاضل العالم مجد الدين يحيى بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن علي ابن محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد زبارة بن عبدالله بن الحسن بن الحسن الأفطس بن علي بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي أمير المؤمنين عليه السلام . وكان من سادات الزيدية، وكان متبحرا في العلم يلقب بأستاذ الطوائف المخالف والموافق؛ لتوسعه في كل فن، ومعرفته لفقهِه كل فقيه من فقهاء الأمة، وكان لما اتصلت به هو المبلغ لها إلى السلطان المقدم ذكره، ثم لما انتهت إليه قرأها وهو من المحققين في العدل والتوحيد هو وأهل بلده معروفون بالتشدد في مذهب المعتزلة والاعتصام به، ويعتقدون من كفر الجبرية القدرية والحشوية الفرية ما يعتقد، ولهم معرفة بحق أهل البيت عليهم السلام، لا تزاحمهم فيها فرقة من فرق الأمة بعد شيعة أهل البيت عليهم السلام، فوهب السلطان للسيد مجد الدين عند

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحلي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُوري الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

ذلك خمسمائة مثقالا، ولو مد الله في عمر الإمام المنصور بالله ﷺ لكان ينتظم له الأمر في تلك الناحية إن شاء الله تعالى غير أنه لم يلبث ﷺ بعد ذلك إلا المدة اليسيرة .

ووردت كتب الملك الظافر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من حلب سنة إحدى وستمائة والوارد بها رجل من ولد النفس الزكية ﷺ، ووصل اليمن فعاقه سلطان العجم عن الإمام، فأجاب ﷺ بالشعر الذي أوله:
أتهجر معتمدا دارها.... حتى قال:

تجـبـو ويكـرم زوارها	إلى حلب حيث صيد الملوك
وطهر بالسيف أوزارها	سلالة من شاد دين الإله
عشايا العصور وأبكارها	فرحمة ربي على روحه

وكان ﷺ قد رزقه الله تعالى من حسن الصيت وارتفاع الذكر وحسن الأحداث والثناء الجميل ما قل مثله لمن مضى من أئمة الزيدية عليهم السلام، حتى أن الإمامية على حيفهم عن السابقين من أئمة الزيدية واجترأهم على أذيتهم لم ينقل عنهم مثل ذلك في حقه ﷺ بل كانوا في نهاية المحبة والمودة له ﷺ على اعتقادهم ظلم القائم بعد الحسين ﷺ من أئمة الزيدية عليهم السلام عموما حتى قال بعض شعرائهم وهو السمطي:

سن ظلم الأنام للناس زيد	إن ظلم الأنام داء عضال
وبنو الشيخ والقتيل بفتح	ثم يحيى ومؤتم الأشبال

ولم يزل ﷺ منفذا للبعوث والسرايا إلى مغرب ومشرق وشام ويمن، فقل ما كان يقف عسكره من الغزو .

ودخل صنعاء المرة الثانية في شهر صفر سنة إحدى عشرة وستمائة، فأقام فيها مدة ثم تقدم ذمار، وانحازت جنود العجم إلى ذي حولان^(١) فصمد لهم عليه السلام بنفسه حتى أظفره الله تعالى عليهم واستولى على الخيل والسلاح وأعتق الرقاب.

وقال عليه السلام^(٢) في صنعاء بعد رجوعه إليها من ذمار وذكر ذي حولان:

عجبت فهل عجبت لفيض دمع	لموحشة على طلل ورسم
ونؤي كالسوار وجذم حوض	وأشعث قد أطال من التأمي
وما يغنيك من طلل محيل	لهند أو لجمال أو لنعم
أوانس كالبدور إذا تجلت	كأن عيونها أعيان رقم
تميس كأنها أغصان بان	تثني فوق أهيل كالخضم
كأن حمولهن مكلات	بلف من نخيل حواث غم
تظل الطير تخطف جانبيها	لما صورن من عقم ورقم
فعد عن المنازل والتصابي	وهات لنا حديث غدیر خم
فيالك موقفا ما كان أسنى	ولكن مَرَّ في آذان صُمِّ
لقد مال الأنام معا علينا	كأن نخرجنا من خلف ردم
هدينا الناس كلهم جميعا	وكم بين المبين والمعمي
فكان جزاؤنا منهم قراعا	بييض الهند في الرهج الأحم
هم قتلوا أبا حسن عليا	وغالوا سبطه حسنا بسم
وهم حظروا الفرات على حسين	وما صانوه من نصل وسهم

(١) قرية خارج مدينة ذمار معروفة .

(٢) الديوان ٨٢ - ٨٣ .

وزيدا أوردوه ظمى المواضي
وأولاد الهمام الشيخ^(١) منا
ولم أر هالكاً كقتيل فخ
أئمة أمة جهلت هداها
هم قدحوا زناد النار فينا
وكم متشيع عاد علينا
وجبري ينازعنا هداانا
أتخطي رشدنا وتصيب رشدنا
أطيعي مرشدك وشايعهم
هم جهلوا سبيل الرشدا فينا
وما ضر المصيب هداه فينا
أخي من كان يهديني لرشدي
وحاشا شيعة الميمون زيد
أمراضة الجنين تعرفيه
فلو عاينت ابنك في ثلاث
بني الهرمين أعجب ما رأينا
مق ترقى سويق البر إثمنا
فكم جرم أتوه بعد جرم
هداة الناس من ظلم وظلم
فيالك من وسيع الباع ضخم
بخدعة مارق وشقاق غتم
فقاموا عن خديج غير تم
بأنس أو ديار بلاد قم
كذي خطل يعرفني بإسمي
كمن يقضي على علم بوهم
فإن ساعدتني فحلاك ذمي
فأعقبهم بما غمما بغم
أمي غدا أم غير أمي
وليس أخي هو ابن أبي وأمي
حماة الروع فتیان التحمي
فإن كان الشجاع فلا تصم
عقيب الموت ويحك لم تشم
وأنفع من بناه عريش هرم
فمل عن أكله بسويق حزم

(١) الشيخ هو: عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، والملقب بالكامل عليه السلام ،
وأولاده الأئمة : محمد بن عبد الله النفس الزكية .. وإخوته : إبراهيم وموسى وإدريس ويحيى عليهم
السلام.

وأفنع من فرائد كرم جيد
تشابه أهل ملتنا علينا
ينازعني أناس أمر ديني
وقد أرشدكم وطلعت شمسا
وأحمد سيد الثقلين جدي
ويوم مثل ظل الرمح طولا
فمن يك سائلا عني فإني
أظن مطرف إنكار فضلي
فقدما أنكرا الزاكين قبلي
وعارضني بمهدي غوي
أظن الإسم يبلغه المعالي
ظننتم حربنا شعرا بشعر
فلولا حال بينكم وبيني
لزررتكم بأرعن مكفهـر
سلوا صنعاء يوم الروع عنا
وذي حولان إذ لجأت إليه
وكانوا النار جاء لها عصار
فويل مطرف من طول حربي
وعدتكم فلم أخلف وعيدي

فرائد من ثمار بنات كرم
فلم ندر الأخص من الأعم
وهمهم لعمرك غير همي
لهم في ليل خطب مدهم
وجعفر طائر الملكوت عمي
قصرت طويله بطويل عزمي
غداة الروع في الجزء الأصم
يرد إليه معرفتي وحزمي
فلم يظفر لشقوته بغنم
ألا ليت المسمي لم يُسم
وكم إسم يقال لغير جسم
وشتما ظل سعيكم بشتم
جنود الظلم من عرب وعجم
بطيء السير كالطود الأشم
وعن أحلاس خيل غير عم
أسود الغاب من كلي وغشم
فطار بها إلى تيار ي
ومن طلبي ومن ضربي وضغمي
وبالرحمن إيعادي وحتمي

فأين وعيدكم وكشيش ضب
أنا حامي الملوك فقل كقولي
على صور المسائل قلت جهلا
فإن تك من رجال الحرب فاثبت
وجمّع كل ذي دين خبيث
ظننتم حسه كهدير قرم
ليعجب كل ذي عقل وفهم
وليست هاشم كرجال جُرم
وكن رجلا بها تُرْمَى وتُرْمِي
لنلحق جمعكم بجموع طسم

وصلحت ذمار وتلك الأعمال وجرت فيها الأحكام وهو في خلال ذلك يجتهد في
تدمير المطرفية، وصب كل محنة عليهم وبلية، حتى صاروا بين قتيل وطريد، وأجرى
فيهم الأحكام من القتل وسبي الذرية في البلاد الحميرية وغيرها من الجهات المغربية،
وعرف أحكاما كانت مجهولة، وجدد شرائع كانت مدروسة وأثار سننا كانت
مطموسة، وفي خلال ذلك لا يعرى عن جاهل يطعن بغير بصيرة، فيكشف له عليه السلام
المشكل، ويفتح له المقفل، فبين قابل ومعرض جاهل.

رسالة ابن النساخ:

ولما أنزل عليه السلام بالمطرفية الشقية النكال، واستبى النساء والذراري واستلب
الأموال، عظمت عليهم البلية، فأنشأ رجل منهم يعرف بابن النساخ رسالة إلى
خليفة بغداد وهو في ذلك الوقت محمد الملقب بالناصر يحثه على إرسال عسكر إلى
اليمن، وذكر فيها من مناقبه عليه السلام ما هو جدير، ورأينا إثباتها في أخباره؛ لأنها واردة
من ضد مكاشح ولا أقوى من شهادة الضد لضده فقال فيها:

السلام عليك أيتها المعالم المقدسة بالأكياس، المطهرة من الأدناس، المحلاة
بأفضل لباس، المنتجة لخلفاء بني العباس، المتأرج عرفها ونشرها، والسائر مع الأمثال
السائرة ذكرها، وطن العترة الرضية، ومغرس الشجرة المباركة النبوية... شعرا:

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحطي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُوري الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

ومغنى أمير المؤمنين وداره
تخيرها المنصور قدما فحلها
هي الروضة الغناء والربوة التي
وفيها أمير المؤمنين محمد
عقود العز والتحصين ، والحرم المحرم الأمين، مسقط رؤوس الخلفاء الراشدين،
والربوة ذات القرار والمعين... شعرا:
دار الفكاهة والتأديب والأدبا
يا رب معني لطيف في معالها
يروى ببغداد أن العلم متجرها
سلام يستلم شجرها ومدرها، ويستهل بالإجلال والتبجيل شمسه وقرها:
سلام كالعقود بما لآلٍ
مقلدةً من الغزلان عينا
سلام لا تكدره الليال
يروق الناظرين السامعينا
سلام ريمه عبق ذكي
يحاكي نشر مسك التبتينا
وعند استلامك للباب الأعظم، والمعينة للحرم المحرم، تقبل مواضع القدم، وتعفر
خدك بالسجود للواحد المعبود، حيث بلغك أقصى المرام، باستهلالك بدر التمام،
ملك الإسلام، جمال الدنيا والدين، واسطة عقد الهاشميين، محمد الناصر لدين الله
أمير المؤمنين ... شعرا:
فيكتحل الطرف المحاسن كلها
ويرتاح إذ نال المنى والأمانيا
خليفة أزكى العالمين أرومة
ومن لم يدع للعدل ضدا مناويا

(١) في (ب): عماد الدين .

تشعشع نور الأفق من نور عدله ويخجل في الأفق الهلال اليمانيا
وبعد ذلك نحضه على الاستعداد لإطفاء نار تأججت باليمن، أذكى وقودها قائم
من بني الحسن، تمالأ أهل اليمن على نصرته، وسارعوا إلى جماعته وجماعته، وعقدوا له
الألوية والبنود، وأتوا بالخميس العرمم المحشود، ولقد قدر علينا واستظهر فعند
ذلك اصدع بما تؤمر فقد أعذر من أنذر:

وقبل ثرى أرض الخليفة واسجد وسلم سلام العارض المتردد
وسائل بني عم النبي محمد وأنشد بملاء الشدق فيهم وغرد
أما بلغتكم دعوة المتجهد وإيعاده يوما يروح ويغتدي

يسائل بني عمه الأخيار من أهل البادية والقرار، في إعارة يوم من الأعمار لبيتك
الأوتار، وينقم منك بالثأر، وعند استيلائه على الحرمين، والتثام أولاد البطنين،
ينهض إلى الشام والعراقين، وعيد لا يفند واعدده، ومنهل لا يصدر عنه وارده، هي
والله إحدى الكبر، التي لا تبقي ولا تذر أين منها المفر فلا منجى ولا وزر!

ويجري إليكم بالمغاور ضمرا دلاص الدروع السابري ثياها
بييض مواض ما تفل غروها وسمردقاق يطردن كعابها
ويوم ترى أيام صفين دونه بمعركة ما إن يطير عقابها

اللهم إلا أن تنهضوا إليه، على كل صعب وذلول جيلا بعد جيل، ورعيلا في إثر
رعيلا، وتعدوا للجلاد السواعد الشداد، والسيوف الحداد، فعسى أن يحمى بحماها
بغداد وكوفان، ويملك ما سواهما من البلدان، هيهات من ذاك هيهات، لا إدراك لما
فات، وقد هيا بضرب الدينار والدرهم دارين، وملا بهيئته ومملكته كل قلب
وعين... شعر:

وساعده المقدر حتى جرى له
ونادى أنا ابن المصطفى وابن عمه
أما أحمد جدي، وحيدر والدي
بما يشتهي أفلاكها ونجومها
علي أنا ترب العلا ونديها
وإني للعلياء حقا أقيمها

بكلام يستنزل العصم، ويزلزل الشم، أحلى من العسل، وأمضى من البيض والأسل،
وقد بلغت دعوته جيلان وديلمان، وطنجة وأصبهان، فماذا بعد اشتهاره بالقيام
تنتظرون، فكأنه والله بما قد تأمله فيكم يكون:

وتسهل في أكناف دجلة خيله
ويمسي قضيب الملك ملكا لكفه
ويدخل بغداد فيقتل أهلها
ويطلع فوق المنبر الأسمر الذي
مقالة حق إن ويتم رأيتم
ومن لم يخف من غائلات عدوه
ومن جعل التفريط والعجز دأبه
على ملك الإسلام ألف تحية

وتضرب فوق الشط منها مضاربه
وخاتمته في خنصر هو صاحبه
ويغنى بسلب الملك من هو سالبه
خليفتنا للأمر والنهي راكبه
بداركم ما الكف بالطرس كاتبه
فرت نحره أنيابه ومخالبه
وجانب رأي الحزم أعيت مطالبه
إذا بلغتنا خيله وكتائبه

ثم قال بعد هذه الرسالة:

لمنشي الحمد ذي الملكوت حمدي
حملت على البريد بسعد جدي
شعاع فرنده يشفي نفوسا
يلوح إلى خراسان ومصر
ينادي في دمشق بفرد صوت

رداء الحمد أفضل ما تردي
نظاما ناظما تبديد عقدي
علقن لها السعود بغير كد
وبغداد وكوفان بقصد
فيسمع كل فلاح وجندي

قوافيها أزمتمها بكفني
إلى حرم الخلافة منتهاها
تخصصكم رسالة ذي وداد
سأنتزع القوافي من لساني
لها غرب شباه يشيب منها
نيام يا بني العباس أنتم
أراكم غافلين، وسوف عنها
ونرميكم ببغداد بجيش
ينادي يا لثارات بفتح
ويدعو: أين إدريس ويحيى
أنسى قتلكم لهم جميعا
بأحشائي عليكم نار وجد
علينا أن ننبئكم ونبدي
إمام هاشمي فاطمي
أشار إلى الخلافة فانتضاها
وسيماء الملوك عليه باد
فصيح لفظه عذب فرات
يقود قبائل اليمن اللواتي
بكندة والذرى همدان تأتي
سأرسلها لخدمتها تؤدي
لتلثم أرضها بثناء حمد
يحثكم بحزم بعد رشد
سناها يستطير بأرض نجد
نواصي القوم من قرب وبعد
وهذا ثوب إمرتكم ترددي
نباعدكم بحمد أي جد
أجش، متابعا برقابعد
وباخرا ووقعة يوم مهدي
وعبدالله أين أبي وجدي
معاذ الله لو أفردت وحدي
تثير عليكم مكنون حقددي
بأن المرء همته التعدي
معيد للنضال لكم ومبدي
ولكن لا يملأها بخلد
بعيد صيته يعطي ويجدي
يفض به صلابة كل صلد
تزوركم مكفرة بسرد
ومذحج، أسد حرب أي أسد

وحيي حاشد وبكيل منهم
وسنحان وحولان، وهم
وقوم من بني الملطوم شوس
قبائل دعوة الداعي أجابوا
كتائبه إليكم ذالقات
وتألتق البيروق من المواضي
تشعشع ضوء نور بني علي
ويترككم له حولا عبيدا
وينقم منكم بالثأر قدما
وظني أن داركم ستضحى
إذا لم تنهضوا بالخيل شعنا
من الأتراك أهل البأس حقا
إذا أبطأتم إبطاء فند
أصبتم قول ليت تجر ضيما
لكم إرث الخلافة عن أبيكم
وعنس والأولى من آل سعد
وجنب والسكون وحي نهد
يحاكي بأسهم عمرو بن معدي
وأدوكم لقد جاؤا بأد
بأرماح مثقفة وجراد
إذا عصبت بهامة كل وغد
سيطفي ناركم من غير بد
إذا ما قاد جندا بعد جند
يصارفكم به نقدا بنقد
ولا عهدا لها أبدا بفرد
نواصيها عليها كل صلد
يقودهم شريف من معد
ولم تجروا إليه بكل هند
وما ليت على التفريط مجدي
لأنكم أولو رشد ومجد

وأغارت جنوده المنصورة إلى نحو لحج وأبين فغنموا الأموال وقتلوا الرجال وانقلبوا
بعزة قعساء لم يمسهم سوء .

وكتب السَّيِّدُ من صنعاء إلى أهل بغداد:

يا أهل بغداد إن الله سائلكم
عن ملة الدين إذ أخدمتم فيها
أنتم عيون بني الأيام قاطبة
في النائبات ولكن القذى فيها

قد اشمتمت على عمياء مظلمة
إن الخلافة أمرٌ هائلٌ خطرٌ
لو كان ما أنتم فيه على سَنَنِ
أيلزم الحد محدود بحكم إلـ
جعلتم حجة الدعوى مُطهَمةً
إن الخليفة من يهدى لسنته
ويقتفي سنة المختار معتمدا
ولا يميل إلى لهو ولا لعب
يجري الشريعة مجراها الذي وضعت
خليفة الله يرضى الله سيرته
كم قد سمعتم خلافا في الوصي وفي الـ
فكيف يأخذها مَنْ عِلْمِ جملتكم
القوم منا ولكن أين فاطمة
وأين سيرتنا المشهور طهرتها
نقفو بها جدنا المختار لا عوج
لا نعرف الخمر إلا حين نهرقها
إن الخلافة حكم الله فانتظروا
أيسقل بها من لا تقوم له
وكم فتى سملت عيناه قام بها

لا يهتدي بنجوم الحق هاديتها
صعبٌ مسالكها صعبٌ مراقبتها
قام المريض إلى المرضى يداويها
هـ الناس أم يرشد الضلال مغويها
جردا، ومطرورة تصمى نواحيها
حتى تضيء به الظلما لساريها
حتى يضم إلى الأدنى قواصيها
إلا بسم العوالي في مجاريها
عليه حتى يحل الدار بانيها
ويطهر الارض طرا من مخازيها
صديق يعظُم في النجوى تلاحيها
بجاله عن طلاب الحق يغنيها
وزوجها وسليلاها وواليها
باسم المهيمن مجريها ومرسيها
فيها ولا أمت تلقى في معانيها
ولا الفواحش إلا حين ننفيتها
حكم المهيمن فيها فهو معطيها
شهادة في حقير إذ يؤديها
وبتكت أذن ثنان في تعاطيها

أي الإمامين أولى بالقيام بها
نعوذ بالله من قول يقوم له
أنا ابن أحمد إن فتشت عن نسبي
المانع النفس ما تهواه من صغر
وغارة مثل لمع البرق مشعلة
وهزيمة مثل قصف الرعد مجحفة
وسائل عن فنون العلم ملتفهف
وطالب جاء والآفاق قائمة
من ذا يكون كآل الطهر فاطمة
خلافه الله دين الله فانتقدوا
يا أهل بغداد خافوا الله إن له
فارعوا حقوق رسول الله والتزموا
وراقبوا الله في سر وفي علن
ونحن في غمرات الشك فلك هدى
نحمي حمى الدين بالجرذ العتاق وبال
وكم فتى يلتقي الأبطال مبتسما
يحميه منصبه الزاكي الفرار إذا
وفحمة مثل سيل الليل عاتية
إن الحجاب لربات الحجال فلا
يا قوم، أولها أم ذاك ثانيها
سوق من الخزي لا تحي نواديها
القائد الخيل منكوبا حواميها
عمدا لتسمو وتعلو عن مساميها
كنا الذوائب منها لا تواليها
ظلت سيوف بني المختار تحميها
همى عليه بماء العلم هاميهها
غيرآء نال أمورا وهو راجيهها
من ذا يقاربهما أم من يساويهها
رب السرير ليعطى القوس باريها
بطشا يحش القرى جمعا ومن فيها
بعروة لا يخاف الفصم راعيها
فنحن مهديها منا وهاديها
تنحي ويهلك عند الموج قاليها
بيض الرقاق رؤوس الصيد نغشيها
منا ويطعننها شزرا ويرديها
دقت من السمر في الأحشا عواليها
ردت عواصيها العظمى مواضيها
تقبل لنفسك تليسا فتصميها

إن الإمام الذي يبدو لطالبه كالشمس لا يستطيع الغيم يخفيها
إذا دجت ظلمات الخطب قام لها مشمرا وتجلى أو يجليها
ضخم الدسيعة محمود الشريعة لا يرضى لنحلته كبرا يدانيها^(١)

ولم يزل الأمر كذلك حتى وصلت جنود العجم من الشام إلى اليمن، فأقاموا فيه مدة مديدة حتى نظموا أحوالهم، ثم نهضوا قاصدين إلى أعمال صنعاء، فلما قربوا من أعمالها انتقل عليه السلام إلى كوكبان من صنعاء يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثني عشر وستمائة، فأمسى في بيت أنعم ثم تقدم إلى كوكبان، ووصل العجم إلى الأعمال الصناعية في جيوش يضيق بها الفضاء، فعمدوا إلى بيت أنعم فحطوا عليه ثاني عشر جمادى الأولى من السنة المذكورة وكان عليه السلام قد شحنه بالرجال، وما يحتاجون إليه من الطعام فأقام الحرب عليه مدة وهم مشغولون به حتى تسلموه بعد ذلك يوم الثلاثاء ثاني رجب ونهضوا إلى بلاد حمير فحطوا على المصنعة وعزان يوم الجمعة سادس رمضان من السنة المذكورة، وأقام عليه السلام في مقاتلتهم في اللطية بجبل الضلع مدة ثلاثة أشهر ونصف والحرب متواترة عليهم، وكان أول يوم وقع فيه القتال نهض عليه السلام من اللطية إلى جبل يقال له ثمود، ونزلت الجنود على العجم فقاتلهم قتالا شديدا ودنوا إلى محطتهم دنوا كثيرا، فقال عليه السلام في ذلك اليوم:

خذوا هذه عني إلى أن تتم لي
فإن تنكحونيها فإني كفؤها
أمر أرحي نظمها واتساقها
كرما وقد وفيت صبحا صداقها
إذا ضربت صبحا عليكم رواقها

(١) أنظر ديوان الإمام عبد الله بن حمزة ٨٩ - ٩١ .

وصاحت حماة الروع في جنابها
فلا تسأموا الحرب العوان وشمروا
حسبتم طعان الطالبين في الوغى
حرام عليكم لذة العيش بعدها
وقبلكم كانت ملوك كثيرة
إذا زحرت قحطان دوبي يجمعها
وشدت عليكم شدة يمنية
ودافع من عدنان كل مشيع
جعلتم كلاب الباطنية ركنكم
رويدكم فالحرب دأبي ومتجري
سرت بنيتها مذ لويت عمائي
أنا ابن رسول الله وابن وصيه
رقا بكم مرقوقة ل محمد
لنا فتية يوم الوغى طالبية
فكم من عناة قد فككت رقاها
وكم منة طوقتها العجم فحمة
وكم ملك قد رام ملك بلادنا
وكم من جنود فحمة صمدت لنا
رميناهم يوم الوغى يجباهها
وحملها مستكرها من أطاقها
فقد شمרת حرب بن حيدر ساقها
معتقة لا تسأمون مذاقها
فقد صدها عنكم حسام وعاقها
نسوقكم عما قليل مساقها
وهزت عواليها وسلت رقاها
تمد عليكم شامها وعراقها
إذا نظرته العين في الروع راقها
فنطقكم بالمشرفي نطاقتها
ومذ طرَّ شَعْرِي ما مللت وفاقها
ومزت لكم جدعائها وحقاقها
عطية مجد ذو المعارج ساقها
فما حكمكم إذ تطلبون إياها
تعودها طعن العدى وعناقها
وكم من عتاة قد شددت وثاقها
فهل خلعت كفرًا لضبعي رباها
فلا هي لاقتة ولا هو لاقها
فشدت بنات الأعوجي خناقها
مسومة قبَّ البطون لحاقها

تجبرتم لما قدرتم على الذي أسرتم فذوقوا عارها وشقاقها
نصبنا لكم سوقا يجعل من الوفا جعلنا سبيل العفو ثم نفاقها
فبوؤا على رغم الأنوف بعارها ألا فاشربوا غب الجزاء غساقها^(١)

وكثر خاذله عليه السلام في تلك المحطة لطول الأمد على الناس وملاهم، وإيثار الأكثر منهم الراحة والدعة، وهو عليه السلام غير مكترث بقتلهم ولا مطول بتفرق جماعتهم، حتى إن أهل الدين الذين ينتمون إليه لم ير منهم أحد إلا جماعة قليلة من شيعته عليه السلام، فإنهم آسوه بأنفسهم وأدوا حق الله تعالى في إجابة دعوته، وقاموا بنصرته، وكانت أحوال أهل اليمن معه في شدة خذلانهم وعظيم انحرافهم تحكي من كان في عصر الحسين بن علي عليهما السلام في ذلك، فصبر عليه السلام محتسبا لله مناصبا لأعداء الله وبنى عليه السلام الدار الواسعة في مخيم المنصور، وبنى الناس معه الدور، واستقرت دار الضرب في المخيم المنصور، وكثر النفاق جدا، ويسر الله عز وعلا له عليه السلام ذلك حتى إن بعض أهل دار الضرب أخبرني أنه ضرب فيها مما وصل من جهات مذحج ونواحيها من الفضة وغيرها من دراهم الغز خمسة وعشرون ألف درهم، هذا من هذه الجهات لا غير سوى ما كان ينقل من سائر النواحي، وأقام عليه السلام كذلك والحرب ابتداء في الغالب من جهته عليه السلام حتى إن الوقعات لم تنحصر لكثرتها إذ كانت على الجملة الكثير من هذه المدة التي أقام فيها مواجهها لجنود العجم، وكانت المحطة على قلة من فيها من الأعوان والأنصار قد ألبسها الله عز وجل الهيبة العظيمة مع خلاف أهل مسور وكونهم مع العجم وقربهم، فلم يعلم أنه وقع فيها صوت من ابتدائها إلى انتهائها بلطف الله تعالى وبركته عليه السلام، وصلى عليه السلام فيها العيدين

(١) الديوان ٢٦٣ - ٢٦٤ .

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحلي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُوري الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

رمضان والنحر؛ لأن ابتداء إقامته ﷺ فيها كانت من الرابع عشر شهر رمضان إلى المحرم وهو ﷺ لا يسأم ولا يفتر من قراءة الكتب ومطالعتها حتى لقد قرأ في خلال ذلك مجلدات عدة لا يشتغل بهذا الأمر الهائل، ولا يطول بهذا الخطب النازل، فلم يزل ذلك دأبه ﷺ حتى وقع الصلح يوم الأربعاء غرة شهر المحرم سنة ثلاث عشرة وستمائة، وأقامة محطة العجم عليها مائة ليلة وسبع ليال، وانصرف العدو وقد كبتة الله عز وعلا قد أنفق الأموال الجلييلة، وقتل من رجاله الكثير ولم يظفر بأمنيته، ولا وصل إلى بغيته.

قال مؤلف سيرته: وحكي أنه وجد في محطة العجم أربعمائة قبر جديد، وتلف من خيلهم وبغالهم وكراعهم قدر ألف رأس ومائتي رأس، ومن الإبل سبعة آلاف، وانتقل ﷺ إلى كوكبان، وقال في شأن ذلك:

هل تعرف الدار في أعراض ذي ظفر	إلى الأكارع شرقي الخريبات
فحزم بقلان فالحنوين فالسمحا	ت السود ممن تلبس ذات
فدارهم بين شيحاط إلى هرم	إلى القراشم في مجرى الأنيلات
منازلا قد عهدناها ممنعة	بذئبل الخط فوق الأعوجيات
فيها بنات مراد إن سمعت بها	كالأدم تعطوا عسا ليح الخميلات
ومن جاذر نهم كل مخطفة	هيفاء آفة نوم العشيات
وقفت فيها سراة اليوم أسأها	فأصمتت عن جوابي أي إصمات
لأيا بلأي عرفناها بأسنمة الـ	كثبان فالعقدات المسبخلات ^(١)

(١) في (ب، والديوان): المستحلات .

وكل نوء كجذم الحوض ثلّمه
ومائلات جواد كالزناد بها
أم الدوادي فعف المور معلمها
إني لأعجب من قوم ونأيهم
ألم أقم وكثير من سراهم
وهم وشيعتهم في لج ملتطم
كآل إسرال إذ فرعون سامهم
وشم قحطان والسادات من مضر
فخضت لج ذعاف الموت محتسبا
وكم خميس لهام قد صمدت له
فصار كالأمس لا عين ولا أثر
سل من أقام بصنعا عن إقامته
هل أغضب الله أم أرضاه موقفه
قولوا أساءتكم مني معاشرة
الأرض كافرة والحكم مطرد
أليس عم رسول الله والده الـ
لم ينج حتى فدى نفسا مرققة
وكم وعظت وكم خوفت مجتهدا

سَحُّ السواري وإثحام الغديان^(١)
أو كالحمام أو مثل القطيات
إلا مزاحف إضلال وحيات
عني وقد علموا تصريف حالاتي
عند التنافر أحياء كأموات
من البلاء بمصيبات وآفات
ذبح البنين وإحياء البنيات
هيم يعومون في بحر الظلمات
نفسى وما لذت في روع بمنجات
كالبحر يرجف من لغط وأصوات
وكان مثل الجبال المشمخرات
فيها وإن كان ذا صوم وإخبات
بدار حرب لدى لهو وحانات
أم بعث ديني منكم بالديان
فيها بنص أحاديث وسورات
عباس حل به حكم العتيبات
بالمال قد مُلكت عن نص آيات
وكم نصحت فما أغنت نصيحاتي

(١) في الديوان : تَبَّج السواري .

إلا أفاضل منهم هاجروا فبنوا
وءآلوا وثاروا فيا لله درهم
ظننتم الحرب ترديني^(١) بكلكلها
نشأت فيها كنصل السيف منصلتا
مذ بضع عشرة ما غربت غاربها
أنا ابن رب معد في مقالهم
وأي فخر سوى بالطهر والدنا
سائل قليب وفرسان الشعام ومن
عربا وعجما ألم أضجر لحربهم
كان المناخ شهورا لا رسول لنا
وهم يرومون فينا ما نروم بهم
كتائب كجبال الروم شامخة
كم حومة قد ملأناها وهم علقا
وماجد قد أطار السيف هامته
وفي شبام لنا يوم له نبأ
ونحن عدة فرسان وهم بشر
راموا الحصون فلاقوا دون بغيتهم

مجدا يدوم إلى يوم القيامات
كم راغموا في من ذي سطوة عاتي
فأتقيها بأغمار وسادات
فلم ترعني وراعتهها مصالاتي
فالاآن إذ كنت سبأقا لغايات
وليس رب سوى رب السموات
محمد وعلي ذي المقامات
قد كان في يمن أساد غابات
والقوم في لجب جم الجماعات
ولا لهم غير بيض المشرفيات
كل يحاول ما يدري وما ياتي
نباتها من رقاق^(٢) السمهريات
بسفح واقط تزري بالحكايات
منا ومنهم صريعا بالمناصات
قد كاد يربي على يوم القصيات^(٣)
على رؤوس أولي بأس ورايات
ضربا وطعنا يصم الراغيبات

(١) في (ب): يزربي ، وفي الديوان ترديني .

(٢) في (أ،ب): من دقاق .

(٣) في الديوان: يوم العصيات .

وفتية من علي أصل نسبتهم
الضارين حبيك البيض عن عُرض
والتاركين دروب الروم خلفهم
والباعثين لكسرى في كتائبه
ولو أردنا لقلنا غير أن لهم
ما كان مثلهم في حكم طاعتنا
لعلهم يرأبون الصدع عن كذب
ويطلبون رقى تلك السعيات^(١)

ثم انتقل عليه السلام من كوكبان يوم الجمعة لليلتين إن بقيتا من شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وستمائة إلى ظفار حرسه الله تعالى، فأقام فيه مدة حتى دنا انقضاء الصلح بينه وبين العجم وانتقل إلى كوكبان لأربع ليال إن بقيت من ذي الحجة من السنة المذكورة، ثم جهز ولده الناصر لدين الله عزالدين محمد بن أميرالمؤمنين إلى ككن في الجند من الخيل والرجال، وقد كان عليه السلام ابتداءً به أول مرضه في محطته في البون، وطلع كوكبان وهو يزداد بعد ذلك وكان من التجلد في حال مرضه والصبر عليه بالمحل العظيم لقوة يقينه على شدة وجعه، ولقد كان في حال النزاع الشديد وهو محتب بثوبه حتى فاضت نفسه وهو كذلك .

أخبرني من شاهده أنه دخل عليه وقد خرجت إحدى ركبتيه من حبوته والأخرى بجالها، واختار الله له الانتقال إلى دار كرامته ومستقر رحمته يوم الخميس لاثني عشر يوماً من شهر المحرم سنة أربع عشرة وستمائة، ثم نقل عليه السلام إلى بكر فأقام فيها مدة ثم نقل بعد ذلك عليه السلام إلى الموضع الذي قد صار منسوباً إليه ودفن فيه

(١) في الديوان ٩٢ - ٩٤ .

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحلي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُوري الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

فسلام الله عليه، لقد نعش الإسلام ببركته، وأعلاه بحميد عنايته، وكثر جماعة أهليه،
وقلل سواد قاليه، بعد أن كانت فرق الضلال قد هدرت، وبحار الجهل قد طمت،
حتى أعلى الله كلمة الحق بقيامه، فانتشرت أعلام الحق، وقامت قناة الصدق،
وتفجرت عيون العلم، وهطلت سحائب الفهم، وأنقت رياض المعارف الدينية،
وعمرت معالم السنن النبوية، وغارت بحار الجهالات، وانطمت رسوم
الضلالات، ولقد حصلت ببركته من الخيرات الجسام، والفوائد العظام، من العلم
والعمل، وظهور مفردات الدين والجمل، مظهره يغني عن بيانه، وضرورته تنوب
عن برهانه، ولقد كانت المطرفية الشقية الكفرية الغوية تسعرت نارهم، وطلع
نهارهم، وأظهروا الكفر في دار الإسلام، ونسبوه إلى العترة الكرام، ودرسوه في
كنائسهم، ودعوا إليه نظما ونثرا، حتى طبق مذهبهم كثيرا من الآفاق، وخذعوا
الأنام بحب العترة عليهم السلام، فلم يزل عليه السلام ساعيا في إبادة جرثومتهم، واقتلاع
أرومتهم، أولا بالدليل والبرهان، وثانيا بالهندي والسنان، حتى فرق الله عز و علا
جموعهم، وأخرب ربوعهم، وحصل ذلك على يديه سلام الله عليه .

ولقد حكى أن القاضي العالم شمس الدين جعفر بن أحمد بن أبي يحيى رضي الله عنه
رأى في النوم أنه كتب مذهب المطرفية في لوح وأعطاه شريفا يمحوه، فكان عليه السلام
هو الذي طمس آثارهم، وأباد ديارهم، وحكم فيهم بالأحكام النبوية، من القتل
وسي الذرية، وأجراهم مجرى الحريين؛ عملا بما انعقد عليه إجماع الصحابة
الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من قتل بني حنيفة
وغيرهم، وسي ذراريهم، وتغنم أموالهم؛ لأنهم كفروا بعد الإسلام وصارت لهم
شوكة فانتقل حكمهم إلى حكم الحريين، وأين الأمر من الأمر إنما كفرت بنو
حنيفة بأمور يسيرة، والمطرفية كفرت بأشياء يطول ذكرها، وهي إنكارهم أن

يكون الله تعالى يمرض عباده ويسقمهم ويؤلمهم ويميت الأطفال الصغار وغير ذلك من كفرهم، وأنكروا أن يقصد الله تعالى بالصواعق والبرد المسلمين، وزعموا أن ذلك إنما يقع على جهة المصادفة لا بقصد من الله وإرادة، فحكمهم عليهم السلام إلى الكتاب الكريم والسنة فحكما له عليهم السلام بالقتل وتغنم الأموال، فأعمل في هامهم الصفاح، وثقف لنحورهم الرماح، وقاد إليهم الجنود بعد الجنود، ونظم إليهم حيناً بعد حين العسكر المحشود، حتى نال المراد، وأرضى رب العباد، ولقد خرج ببركته من الكفر إلى الإسلام خلق لا يحصيهم عدداً إلا الله تعالى، وهي قبائل ضخمة كانت تدين بدين المطرفية أقماهم الله تعالى، فشملتهم بركته فتابوا إلى الله تعالى وصاروا سيوفاً على المطرفية الشقية، وأضحى مذهبهم بعد تلك الغضارة والبهجة التي كانت له عند الناس ذوايا، بعد أن كان عندهم عالياً سامياً، وكان ذلك بحميد سعيه، ولطيف تدبيره سلام الله عليه بعد توفيق الله تعالى. وكذلك الجريرة القدرية فإنه عليهم السلام أجرى فيهم ما أجراه على المطرفية من القتل وسبي الذرية؛ لقضائهم بقدم القرآن فخرجوا بذلك عن التوحيد، ومن خرج عن التوحيد كان كافراً، وكذلك فإنهم حملوا على الله تعالى الكذب والظلم والجور وسائر القبائح، وأخرجوه تعالى عن أن يكون حكيماً، ومن قضى بأنه ليس بحكيم ولا عدل فلاشبهة في كفره، فكذلك إذا قضى بأنه يفعل سائر القبائح وفنون الفضائح، وقالوا: بأنه تعالى يريد الفواحش وكافة القبائح من الظلم والعبث وأنواع الكفر وهذا مذهب المشركين الذين حكاها الله تعالى بقوله حاكياً: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزحرف: ٢٠]، وقال: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَّا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ [الأنعام:١٤٨] ، فلما تحقق عليه السلام كفرهم علم جواز قتلهم وسبي ذراريهم وتغنم أموالهم .

وابتلي عليه السلام بحرب العجم والعرب من أهل المذاهب الردية وغيرهم من طغاة البرية، فشقى الله به قلوب المؤمنين، وكثر به سواد المسلمين. ومحاسنه عليه السلام أكثر من أن تنظم في سلك المدائح، وظهور حاله لقرب عهده ومعرفة الخلق به يغني عن شاهد .

وكان عليه السلام في نهاية الرفق بأهل الدين، والتقريب للمسلمين، يمازحهم بالملح، ويفاكههم بالطرف، ويكثر التبسم عند الكلام والبشر والطلاقة إلى الخاص والعام، ولقد كان يعرض الأمر ويذكر المسألة فيعرض على من يحضر مجلسه الكلام، ولقد شهدته في بعض الأيام ليج عليه بعض الأحداث اللجاج العظيم حتى كان هو المتكلم وهو عليه السلام ساكت فضلا جمًا، هذا مع أنه في كل فن كالبحر الزخار، والغمام المدرار، إلا أن اللين كان له طريقة معروفة والوطاة سجية مألوفة، ولقد عرضت لشيخنا بهاء الدين أحمد بن الحسن رضوان الله عليه مسائل في شيء مما يتعلق بالسيرة فوقف عنده عليه السلام ليلة من الليالي طويلا حتى مضى طائفة من الليل، وقام عند قيام الناس وسلم إليه القرطاس التي هي فيه، فكتب عليه السلام أجوبتها في الحال ثم أمر بها إليه قبل أن ينام قال: لئلا ينام على شبهة، فانظر إلى غزارة العلم ووفوره، وحسن الورع وكثرته، وكان في بعض الأوقات ربما يجيب عن المسائل ليلا؛ لكثرة الشغل بأمور الناس والتدبير العام، فإذا خلى ليلا تولى الجواب .

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحلي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُورِي الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

تصانيفه^(١) عليه السلام

وله من التصانيف الجمّة ما لا يوجد لإمام ممن قام في اليمن من أئمة الزيدية عليهم السلام إلى هذه الغاية بل لا يدنو منها . وأما في السير فقد وضع شيئاً لم يوجد لأحد مثله من العترة عليهم السلام، وكان في علوم القرآن بالغاية، وشرع في تفسير ورتب في أوله مقدمات حسنة لا يعلم مثلها في تفسير قط، ففرغ من سورة البقرة مجلد واحد ولم تكمل بعد، وأودعه من الشواهد العجيبة، ومن الكلام في المعاني الغريبة، ومن الكلام في دلالة الآي على بطلان مذهب المطرفية الطبيعية والجبرية القدرية ما تتحير فيه الألباب، ويدل على أنه السابق في هذا الباب، وله لمع أيضاً في الكلام على آيات . **ومن تصانيفه عليه السلام العقد الثمين في تبين أحكام الأئمة الهادين في الكلام على الإمامية خاصة وهو مجلد .**

ومن تصانيفه عليه السلام: الرسالة الفارقة بين الزيدية والمارقة في الكلام على المطرفية، ومنها الرسالة الحاكمة بالأدلة العالمة في الدور والتكفير والغنائم ، ومنها العقيدة النبوية في الأصول الدينية، ومنها الرسالة القاطعة للأوراد من لجاح المتعنت في الإيراد في الجهاد وما يتعلق به ، ومنها الرسالة القاهرة بالأدلة الباهرة في الفقه، وفيها مسائل أوردتها موردها على وجه التعنت، وكان ممن له معرفة واسعة في الفروع، فأجابته عليه السلام أحسن جواب بأوضح خطاب، وهي مائة وعشرون مسألة أكثرها في الفقه وفيها القليل مما عداه. ومنها كتاب تحفة الإخوان، ومنها الرسالة التهامية، وغير ذلك... من تصانيفه وأجوبة المسائل التي طارت بها الركبان إلى

(١) غير موجودة في (أ) .

الداني والنائي من البلدان، ولا سبيل إلى ذكرها في هذا الموضوع لكثرتها، ودعوات كثيرة قد ذكرنا بعضها فيما تقدم وتركنا منها أكثر مما ذكرنا .

وكان عليه السلام في الشعر على الحال الذي يعرفه أهل الأدب ولقد كان الجلل من قصائده بمنزلة الارتجال، وله ديوان كبير ويشتمل على فنون من الشعر وأنواع، ولندكر من ذلك طرفا سوى ما تقدم .

ومن محاسن شعره عليه السلام قوله وهو في براقش في شهر جمادى الآخرة في سنة أربع وتسعين وخمسمائة:

طربت وما مثلي إلى اللهو يطرب	ولكن إلى خيل إلى الضرب تضرب
خفاف عليها جنة عبقرية	إذا قوَّض الأبطال في الروح طنبوا
بها ليل بسامون في حومة الوغى	إذا صارت الأبطال فيها تقطب
نمتهم ليوث الغاب فاشتد بأسهم	وفي منصب الآباء ليث وتعلب
وكم من فتى يطفوا إذا جاش موجهها	وأخر فيها عند ذلك يرسب
ومن ضارب بالسيف حامات جمعها	وأخر بين الفيلقين مذذب
يرى الموت قيد الرمح وهو مصمم	ويقضب حدَّ السيف والسيف يقضب
فلا تنعتا لي الخيل ما لم يكن لها	مناسب فيهن الوجيه ومذهب
ولم يعتلق من لاحق بأواصر	ومن أعوج فالخيل كالناس تنجب
أقيما صدور الخيل فالموت مورد	وكأس المنايا خلفه الدهر يشرب
سما لي جباننا نال خلدا بجبنه	لكل امرء في الموت عضو مؤرب
ألا إن دين الله أسفر وجهه	فلم يعم عنه طالب جاء يطلب
وهز لواء النصر فاطردت له	قناة لها من عون ذي العرش أكعب

لنا في أقاصي الشرق شرفٌ نرومه
نروم أمورا وإإله ضمينا
فقل لبني العباس هذا زماننا
سنجزيكم بالإثم برًّا؛ لأننا
وأنتم بنو الأعمام والحق حقنا
فإن لم أزر بغداد عشرين دوسرا
وشاكر طرا حيث كانت ومدحج
وكندة والأبطال شم قضاة
وخولان أرباب الفخار وحمير
وأعمامنا من حي بكر وتغلب
ومن مضر الحمراء كل مقاتل
وعك بن عدنان بنو عمنا الأولى
فلا حملت كفي حساما مجرِّبا
بني عمنا الأوتار عيب ولحنها
أيستخلف الرحمن قلتم بهيمة
يضل ويمسي لا يقيم فريضة
كذبتم وبيت الله لا تأخذونها
ذرونا نريكم كيف تشتجر القنا
ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وبعد ديار الغرب في الغرب مغرب
بإنجاز ما نرجوه منه ونطلب
وما لكم إلا إلى الحق مهرب
بنو أحمد وهو النبي المقرب
ونحن بأطراف الأسنة أدرب
بها حاشد العظمى ونهم وأرحب
وسنحان أهل الصبر والبيض تخضب
فهم جمرات حرها ليس يقرب
فهم لإمام الحق جند مقرب
ويغلبُ من لبته بكر وتغلب
له منصب منه النبي المهذب
أبوهم إذا عُدَّ النَّجَار لنا أب
ودون مضاعزمي الحسام المحرب
وشارب خرطوم المدامة أعيب
له مأكَل نسل حرام ومشرب
ويلهو بأنواع الملاهي ويلعب
مراغمة ما لاح في الجو كوكب
وكيف يثور النقع والنقع أشهب
ونحن جنود الله والله يغلب

فقل لي لأملاك البسيطة سامحوا
فإن لم تدينوا قبل يوم عصبص
أيدفع أمر الله حصنٌ مشيّد
سنجليها شعث النواصي كأنها
ونرسلها زهوا رعالا كأنها
أمثلي ينام الليل والخمر يشرب
حرامٌ علي النوم إلا أقله
غضبتُ لربي حين عُطِّلَ دينه
ألا حبذا قرع الحواجب بالظُّبا
وصبي لرأس الأعوجي على العدى
ويا حبذا قول المنادي بسحرة
أغبروا أغبروا لا يفتكم عدوكم
وجمعي للأعراج والصبح أشهب
وقولي لخيلي لا تهلككم جموعهم
ألا هل لأمر شاءه الله دافع

فلا الحصن مناعٌ ولا الجمع يهرب
فعندي لكم تالله يوم عصبص
وسحت خطامي وجندٌ موشب
عصائب طير في السماء تقلب^(١)
جبال حنين والجبال تأوب
أمثلي يلذ العيش والعود يضرب
ووجه المعاصي ظاهر لا يُحجَّبُ
فهل غاضب مثلي لذي العرش يغضب
وسمر العوالي في النحور تُقَضَّبُ
وحُمر الدما من عارضي تصيب
ألا طال هذا الليل يا قوم فاركبوا
أتموا رؤوس الخيل لا تتهيأوا^(٢)
وسيري أمام الخيل والليل أخطب
وشدوا عليهم تقتلوهم وتسلبوا
وهل لقتيل كاده الله مهرب^(٣)

وقال الكَلْبَلَاءُ معارضة لقصيدة ابن المعتز الميمية في جمادى الأولى سنة اثنتين وستمائة
التي يقول فيها:

(١) في (ب): هذا العجز للصدر الذي يليه . وبدله: جبال حنين والجبال تأوب .

(٢) في الديوان : أقيموا رؤوس الخيل والليل أخطب .

(٣) الديوان ٩ - ١١ .

بني عمنا أرجعوا ودنا
لنا مفخر ولكم مفخر
فأنتم بنو بنته دوننا
إلى آخرها... فقال عليه السلام :

بني عمنا إن يوم الغدير
أبيناً^(١) علي وصي الرسول
لكم حرمة بانتساب إليه
لئن كان يجمعنا هاشم
وإن كنتم كنجوم السما
ونحن بنو بنته دونكم
حماه أبونا أبو طالب
وقد كان يكتم إيمانه
وأي الفضائل لم نحوها
قفوناً محمد في فعله

يشهد للفراس المعلم
ومن خصه باللوا الأعظم
وهنا نحن من لحمه والدم
فأين السنم من المنسم
فنحن الأهلة للأجسم
ونحن بنو عمه المسلم
وأسلم والناس ولم تسلم
فأما الولاء فلم يكتم
بيذل النوال وضرب الكمي
وأنتم قفوتم أباً مجرم^(٢)

يعني أبا مسلم الخراساني عبدالرحمن القائم بالدعوة العباسية سنة سبع وعشرين
ومائة:

هدى لكم الملك هدي العروس
فكافأتموه بسفك الدم

(١) الديوان ٤٧ .

(٢) في الديوان : أبونا .

(٣) ديوان الإمام عبد الله بن حمزة ٤٧ .

ورثنا الكتاب وأحكامه
فإن تفزعوا نحو أوتاركم
أشرب الخمر، وفعل الفجور
قتلتم هداة الورى الطاهرين
فخرتم بملك لكم زائل
ولا بد للمك من رجعة
إلى النفر الشم أهل الكسا
يغشون بالنور أقطارها
على مفصح الناس والأعجم
فرعنا إلى آية المحكم
من شيم النفر الأكرم
كفعل يزيد الشقي العمي
يقصر عن ملكنا الأدم
إلى سالك المنهج الأقوم
ومن طلب الحق لم يظلم
وتنسل عن ثوبها الأسحم^(١)

وقال عليه السلام وقد غزا جنده المهجم وتغنم أمواله، وقتلوا رجاله في ذي

الحجة سنة أربع وستمائة:

لا ما فوارس رحرحان فاعلمي
في معرك لم يبق فيه ناطق
صفت جنود الظالمين وحاولت
خفرتم بيض السيوف وفتية
قامت قيامتهم بكل مثقف
فكأنهم والسيف يعمل فيهم
لو أنهم ثبتوا لكان بوارهم
سارت إليهم بضع عشرة ليلة
تُبلي بلاء فوارسي في المهجم
غير المهند والكمي المعلم
منع الذمار فعوجلت بالصَّيلم
تنمى إلى الشرف الرفيع الأكرم
وبكل غضب كالعقيقة مخذم
أعجاز نخل من طرائق ملهم
ولكان مثواهم سوءاً جهنم
في مجهل نآي الأنيس ومعلم

(١) ديوان الإمام عبد الله بن حمزة ٤٨ .

قطعت إليهم جَوز كل تنوفة
تمشي على رجلاهما وصدورها
لم يحمهم إلا فرار صادق
نسجت لها بردي غبار أقتم
فكان عين الشمس مقلة أرمد
وكان أطراف الحريق المضرم
أسدت بنو حسن وكانت عادة
وأكارم من فرع حيدر صممت
وحماة همدان ومذحج لم تكن
تركت وجوه العرب بيضا وضحا
لولا تغيب أحمد بن القاسم الـ
لكن حلاوة دهرنا ممزوجة
لله درُّ عصابة زيدية
إن شئت ردّدنا الحديث فرُبما
هاك استمع مني ابتداء مسيرها
ما غربت للغور غور هامة
خبطتهم جرد السوابق خبطة
قامت على الجنات يوم قيامة
غطى الدخان دروبها وعراضها
وتزلت من سلم في سلم
فيها وتنساب انسياب الأرقم
عن صدمة الجيش الأجدس الأيهم
وملأتين من الدخان الأسحم
وكان وجه البدر حرف الدرهم
بيض السيوف إذا صبغن من الدم
منها إذا اكتست السيوف بعندم
فيها وردت شأو كل مصمم
فيها بهائية المقام الأعظم
وطلت وجوه الأعجمين بعظم
ملك الهمام للذ عندي مطعمي
بمرارة كالشهد شيب بعلقم
زادت على أيام آل مُحلّم
سَلَبَ الأخير ملاحه المتقدّم
والسعد يقدمها لأيمن مَقدم
والبون يحرز ملاً كف الأجدم
ألصقنهم بدعائم المتخيم
فكأنها رميت بجند الديلم
فكأنها في جنح ليل مظلم

دع ذا ولكن ما مساق حديثهم
جندان كالطودين يبرق فيهما
فيهم بنات الأعوجي ولاحق
جيش تظل البلق في حجراته
جاءوا كأن الأرض قبض أكفهم
فرمى بشر حينه ولجأه
وحدهم الحنق الشديد لحرينا
فرميتهم بجحاح من يعرب
من حاشد أهل المفاخر والعلا
فأروا زعافا لا يذاق فأحجموا
برق الردى من خلفهم وأمامهم
فتحملوا والليل يستر جمعهم
فتلاحقتهم عصبة يمنية
فترفعوا منها وغودر منهم الـ
راموا تززع جندنا إذ صمموا
هي وقعة عندي وليست بالتي
والحرب دائرة ونحن وضدنا
ما عذر عدنان وقحطان إذا
ولواء دين الله يخفق فيهم

يوم استقلوا كالسحاب المرهم
مثل البوارق في العريض المثجم
وبنات شاحج كالجهايم الأطمخ
ويظل قائده ليعرف ينتمي
والله يعلم كنه ما لم تعلم
والبغي في لهوات أغلب ضيغم
والحرب تبرد غلة المتضيم
شم الأنوف من السنام الأكوم
وذرى بكييل عصمة المستعصم
والموت كافل نجح عذر المحجم
والقتل أطيّب من ملام اللوم
لشوابه وخذ الظليم الأصلم
لا يسلم الطاغى إذا لم يهزم
أشلاء للطير العتاق الحوم
فكأنما راموا هضاب يللمم
تشفي غليل القلب إن لم يفطم
كأخي القداح يفوز إن لم يحرم
خذلت إمام الحق حتف المحرم
وقضآء أهل الظلم ينفذ فيهم

قولوا عصينا ربنا وإماننا
توبوا وقوموا للجهاد وشمروا
فالموت حتم في الرقاب وغبطة
والموت أجمل للفتى من عيشة
فامثل بنا يا رب إن لم ترحم
لمنال أجر في المعاد ومغنم
يا للرجال يموت من لم يهرم
في الذل يرمى دونها بالأسهم^(١)

وقال عليه السلام يوم خروجه من صنعاء وأمر بكتابتها على باب القصر سنة اثنتي عشرة وستمائة:

تركنا ديار الظلم والفسق خاليه
وسوف يسقى القوم كأسا مريرة
فلو نصرتني العرب جمعا بجمعهم
فما لهم في الحرب باع ولا يد
فها نحن حزب الله والله غالب
فكم من فتى باك عليها وباكية
وسوف نسوق الجيش للقوم ثانية
لكافحتهم بالمشرفي علانيه
وأهمهم في سؤرة الحرب هاويه
وهم حزب أتباع اللعين معاويه^(٢)

وقال عليه السلام وقد عارضه بعض الباطنية على هذه الأبيات وضمن ذلك هجوا وأمر به العجم إليه:

أتقذف بنت المصطفى ووصيه
ولا عجب قد قال في الله معشر
وقد هجى المختار أحمد جدنا
عشوت فأعشت ناظريك أشعة
كفانا مقال الطهر فيك محمد
كقول اليهود الغلف مريم زانيه
مقالا يهد الشم والشم راسيه
فلا قدس الله المهيمن هاجيه
إلهية طهرية متلاليه
فحسبك ما قد قيل أمك هاويه

(١) ديوان الإمام عبد الله بن حمزة ٥٠ .

(٢) ديوان الإمام عبد الله بن حمزة ٩٤ .

حميت فجاوزت الحدود تعديا
فأما ديار الفسق فالفسق ظاهر
أينكر شرب الخمر في عقر دارهم
ونحن أمرنا بالسبأ حراسة
وقد سنه المختار أحمد جدنا
وتابعه جدي المطهر حيدر
وما عبدوا ربا سوى الله ربنا
ولكن لأحداث أتى الناس فوقها
سأحطم عرنيين الضلال بمنسم^(١)
وحاشا حماة الثغر من أن نسبهم
سندعوا جنود الله حزب محمد
وتوعدنا بالخوف من سوف يسفن
نشأت بها مذ بضع عشرة حجة
وكم منة طوقتها العجم فخمة
وتذكر أملاك الشام وعندنا
حماة ثغور المسلمين ومن لهم
رعاهم لنا من شد بالملك أزرهم
ونحن طلبنا إرثنا من محمد

إلى سبنا رعيًا لحق معاويه
بفعل صنوف المنكرات علانيه
وثالثة مما علمت وثانيه
لدين الهدى من كل شان وشانيه
بتالي كتاب الله إن كنت راويه
بسي ليوث الغاب أسرة تاجيه
ولا لهم إلا المطهر داعيه
جهارا فأحمي الفاطمي مكايه
يلوح بغاو في الأنام وغاويه
ولكن بطعن يترك الكبّد داميه
زبانية فليدع من شاء ناديمه
بناصية منه لدى الروع ناصية
إلى اليوم يدري الأكرمون مقاميه
فصارت لها أعناق حزبك خاليه
هم مثل أبواب الجنان ثمانيه
معال على برج السماكين ساميه
على كل جبار هناك وطاغيه
أبيننا بطام في العجاج وطاميه

(١) في نسخة: بميسم .

وكم مقعص منا على صهواتها
وكم نفس جبار أسالت سيوفنا
فإن نحن أغضبتك فاصبر فإنما
أتحسب أن الشعر يعجز قائلًا
ولكن كرام الناس يطلب جزله
ولعن ابن حرب سِنَّةً جدنا لنا
وقد أظهر اللعن الوصي وإنما
فيا ضيعة الإسلام إن كنت حاميا
وأعظم فخر جنته أن تسبنا
فأما الحصون المشمخرات في الذرى
ومن دونها جرد عتاق وفتية
مصاليت من حَيِّي نزار ويعرب
أنا ابن رسول الله وابن وصيه
وقد جئتم في السب والقذف منكرا
وهمدان ترمي من رماني ومذحج
وخولان أنصار الأئمة إنها
وحمير أرباب الملوك فجدهم
ومن سادة الأتراك والكرد معشر

له عيشة عند المهيمن راضيه
أعدت لها نار من الله حاميه
بنو النصب معروفون من كل ناحيه
وكم حامل لو شاء^(١) حَبْر قافيه
وما راق من حر الكلام معانيه
فهل بعده يبغي الهداية باغيه
وَقْتُهُ ورَدَّتْهُ على القوم واقيه
عليه لقد أرخصت ويحك غاليه
وهل ينكر الكلب العقور مواليه
فهل تلکم الأجناد للشهب راقيه
كرام يروون السيوف اليمانيه
بهايل ضحَّاكون والأسد باكيه
وتحرسني عين من الله كاليه
عظيما وما يخفى على الله خافيه
وسنحان والأملاك كندة راميه
علينا كأم بالمودة حانيه
إلى أرض صين الصين أرسل واليه
لهم هممٌ نحو المكارم عاليه

(١) في (أ): لو قال .

فإن ثقلوا عني فلي في رقابهم
عهودٌ تردُّ القوم نحوي ساعيه
فيا ويلكم عند انقلاب رؤوسهم
عليكم بعزم يترك الجن نحاسيه^(١)
وقال عليه السلام في وقعة شبام وقد أبلى فيها الأمير عماد الدين وقاتل في رجب
سنة ستمائة:

كفيت ولم نحضر وما زلت كافيا
وعفت الرماح إذ هويت المواضيا
وكنت شجى بين الوريدين ناشبا
لمن كان للدين الحنيفي قاليا
دُعيتَ عمادُ الدين لما عمَدْتُهُ
وألقيت في الأرجاء منه المراسيا
عصيت العذول في مكافحة العدا
وظلت بمطرور الغرارين عاصيا
وعارضت موج الخيل منك بعاصف
من الريح يلقي كافح الموج ساجيا
تعاونت عليك الكرد من كل جانب
فجردت عزما يترك الليث ساهيا
فلو حضرت من صيد قومك فتية
للاقوا بها طعنا يشيب النواصيا
وكانت لهم من دون شخصك وقعة
على الضد نكرا فخمه هي ماهيا
على أن رهطا من سلالة حيدر
أجابوا إلى طعن النحور المناديا
وقاموا مقاما لم يُشْنهم حديثه
وطال به من كان في البعد نائيا^(٢)

وقال عليه السلام بالمخيم المنصور باللطية وكتبها على لسان مولاه مخلص الدين جابر بن
مقبل إلى السلطان علوان بن بشر بن حاتم إلى مخيم الغز بالمصانع في بلاد حمير:
دعانا أبا حسن لم يدع
لشقاتكم حيلة تُهتدى
ونقابكم رام ما قد علمت
فأكدى هنالك أو أصلدا

(١) ديوان الإمام عبد الله بن حمزة ٢٥٣ - ٢٥٥ .

(٢) ديوان الإمام عبد الله بن حمزة ١٥٥ .

فشدوا حيازيمكم للحمام
أيمسك رحمة رب العباد
يول لكم مثل بول البعي
فأين العلوم؟ وأين العلوم؟
سموتم لحرب سليل الرسول
أبوه علي وصي الرسول
سما للحروب ولم يلتثم
فأين بكم حين يأتكم
يقودهم من بني حيدر
وكم ملك خففوا حمله
دعوا الحرب تسمو بفتياها
فتدعوا نزال حماة الرجال
فإن لم تروها تحاكي البزاة
فلا حملتنا جيااد الجيااد
دعوا سبكم لبني أحمد
فهم سفن تعصم الخائفين
وليس يسبهم من يميز
وأعجب من سبهم حرهم
وذوقوا سلاف كؤوس الردى
جهولٌ عدا طوره واعتدى
ليحبس من ذي الجلال الجدا
وأين العقول؟ وأين الهدى؟
وفرخ البتول وسم العدى
وابن الجدا والسدى والندا
وساد عشيرته أمردا
بنو يعرب زاخرا مزبدا
حماة الوغى وبنو أحمدا
وقد كان داهية أربدا
ويعتقب الأصيد الأصيدا
إذا نكص القرن أو عردا
تبادر سرب القطا مرصدا
تسمو بنا للعلا مصعدا
ولا تغضبوا فيهم أحمدا
وأقمار رشد بها يهتدى
بين الغراب وبين الحدا
فهل عاقل يتبع الأرشدا

فخافوا الذي علمه بالخفي كعلم الذكي بما قد بدأ^(١)
وله عليه السلام إلى كافة بني الحسن بالصفراء وينبع:
دع دار مئة بالعلياء فالسند
وخالدات ثلاث غير زائلة
وقل لركب تؤم البيت واردا
إذا بلغت ولا عاقت مطيكم
فأعلنوها على الأحياء ناشدة
عمت وخصت على الدعوى بني
وقل لهم دعوة قامت لقائمكم
فطاعة شملتكم يا بني حسن
أحقكم يتغى من بعد قائمكم
طال انتظاري لكم والحرب قائمة
هذي المنابر لم تعمر بذكركم
قالوا الوصي رباعي فقلت لهم
حاسيتهم في أزال كأس حتفهم
فلم تشنكم مقاماتي ولا صدرت
حتى تركت على الأعواد ذكركم
زموا المطي وقودوا كل ساجدة

وما هنالك من نوء ومن وتد
على خصيف كخشف الظي ملتبد
يا ركب إن لنا أهلا بذا البلد
عوأثق البين في يمين وفي رشد
لوازم الحق في الأدنى وفي البعد
أعز قوم حواهم محفل وندي
فقايضوها بإنجاز يدا بيدي
تدي إلى قابليها رفعة الأبد
كمتغى الصيد في عريسة الأسد
والسيف في الكف مني غير منغمد
وأنتم الرأس في بدر وفي أحد
ثاني الرسول بلا مين ولا فند
وفي ذمار وردت الموت في كبدي
سمري ظمأ من الأحشاء والكبد
باد على رغم أهل البغي والحسد
مثل السحوق تباري الريح في الجدد

(١) ديوان الإمام عبد الله بن حمزة ٢٦٤ - ٢٦٥ .

فإرثكم حازه الأقسام دونكم
أنتم سنام بني الزهراء فاطمة
وقائل قال لي والحرب قائمة
وللخميسين أصوات وغمغمة
وقد نضوت رهيف الحد معتمدا
رفقا بنفسك إن الموت مورده
فقلت والخيل خلفي: إن لي أجلا
وهل فتى من علي أصل نسبته
مالي أرى حسنا قومي محيمة
وفيهم مقربات غير مقرفة
شم الأنوف إذا ما نوسبوا انتسبوا
عليهم كل جدلاء مضاعفة
ولست أنسى حسينا في الدعاء لها
بيض الوجوه بماليل لباسهم
ينميهم خير من قامت به قدم
منهم إمام الهدى زيد وشافعه
وجعفر الصادق المصدوق من
وسبط زيد الذي بالجوزجان ثوى

وطالب الحق يسعى غير متهد
وصيد فهر وأهل الجحد والعدد
والخيل يغسلها مئعجر النجد
والضرب في البيض يحكي حاصب
قلب الكتيبة لا ألوي على أحد
صعب فإن كنت تهوى ورده فرد
إذا بلغناه لم ينقص ولم يزد
يمشي إلى الموت كالمشدود بالصفد
عني معذرةً بالمال والولد
تردي بكل طويل الباع منجرد
إلى الجحاح من نضر ومن أدد
من نسج داوود مثل النهر مطرد
وكيف أنسى إذا جد المضاع^(١) يدي
إلى الملاحم قمصان من الزرد
من آل أحمد أعلما من هدا وهدي
أخوه باقر علم الله ذي الرشد
بفضله ملل الإسلام عن صمد
ولو سئلنا فداه بالنفوس فدي

(١) في الديوان ((المصاغ))، وفي (ب): إذ حط البضاع .

أئمة أوجب الرحمن طاعتهم
بني النبي أجيئوا من غدا لكم
ما زال مجتهدا في رد ملككم
أفي النجفة بمسي الحقُّ ذا أود
أفي المروءة أرجو غيركم وزرا
أفي الحمية ألقى الجيش منفردا
فمن تنكب عنهم في السبيل ردي
أبر من والد بر على ولد
وملبس الضد ثوب الوجد والكد
ويضكم مثبتات كل ذي أود
وأنتم خير مرجو ومعتمد
ولا مؤازر غير الصارم الفرد^(١)
وقال عليه السلام يرثي الأمير^(٢) مجد الدين يحيى بن محمد عليه السلام وقد استشهد غازيا^(٣)
وكانت وفاته في شهر صفر سنة ثمان^(٤) وستمائة:
أمر الوجد ما أجرى الدموعا
وهاض المشمخر بناجذيه
خليلي إن هذا الدهر غول
يخادعنا فيورد ناهلينا
ومستسق لـدنياه سقته
تنازعنا النفوس لها نزاعا
ونحلب در نائلها ثلوثا
فإن ترني جزعت فطال ما لم
وأضلع من مضاضته الضليعا
وصير كل قراع قريعا
تلون فانبرى خلقا فظيعا
برفق خداعه الآل اللموعا
على ثقة بها السم النقيعا
فتوليننا القطيعة والزوعا
ونستمي نوائبها ربوعا^(٥)
أكن من عظم حادثها جزوعا

(١) في ديوان الإمام عبد الله بن حمزة ١٢٧ - ١٢٩ .

(٢) في (ب): السيد .

(٣) في (ب): غازيا في تمامة في شهر صفر .

(٤) في (ب): سنة تسع .

(٥) في الديوان : (ثلوما) .

فكم من رائع كرما وبأسا
مصاب الطالبي أبي حسين
فقدناه حساما مشرفيا
إمام أئمة وشحاك ضد
نودعه ونأمل أن يوافي
وفي المعلوم أن الحشر وعد
دعته منية فأجاب سعيها
مضى قدما كأن الموت غنم
فيا لك من فقيد أورثتنا
صريع أسنة الفساق أكرم
شرى في الله مهجته فأعزز
يهون ما ألقى به بأن الـ
وإن أحيى سخي بالنفس فيه
وإن بني أبي وسراة قومي
فردوا السيف مثلوما خضيبا
وصارت حوله الأبطال صرعى
حفاظ أكارم عافوا الدنيا
وقد هزموا أعاديهم وطالت
حمت باقيهم الظلما فأضحت

أحالتة حوادثها مروعا
حمى أجفان أعيننا المهجوعا
وبجرا زاخرا وحيما مريعا
وليثا خادرا وحمى منيعا
إلينا في عساكره سريعا
مضى شمنا لغرته طلوعا
وكان لها وإن عظمت سميها
ولم يقصد إلى الدنيا رجوعا
رزقته الكآبة والخشوعا
به في ذات خالقه صريعا
بها وبه على حال مبيعا
لذين سطوا به قتلوا جميعا
مؤاساة فصار له ضجيجا
وغر صحابي خاضوا النجيجا
وردوا الرمح مفصودا صديعا
يشبهها مشاهدا الجذوعا
وخافوا قول حاسدهم أضيعا
وظل السيف يختطف المنيعا
جهالة ما نأى فجرا صديعا

ونحن لهم طوال الدهر حثف
علينا أن نزيهم رجالا
جيوشا من أفاضل كل حي
تظل البلق في الحافات منها
يكب الطير عثيها فتضحى
تصد الريح غاب السمر منها
أيحيى ليت عينك أبصرتنا
فقدنا منك بحر جدى وعلما
ومنبع حكمة ولزار خصم
وركب كابدوا ليلا بهيما
وحادثة من الحدثان أد
حللت عقالها وكشفت عنها
وكم خطب كشفت وقرن شر
وكم ضاجعت ذا شطب حساما
ليهنك عيشك الراضي إذا ما
وقد ثارت بك الإخوان منهم
سلام الله زارك كل يوم
ولا زالت ذهاب المزن همي
سررت بما غمنا منه وجدا
نزيهم المهند والوقيعا
تري أدنى مغاورها الدروعا
تري أدناهم بطلا شجيعا
وتضحى الشاخات لها خشوعا
على الأذقان ساقطة ركوعا
فتلزمها على الكره الرجوعا
لفقدك ليس عن ذل خضوعا
وليث شجاعة وندى ربيعا
إذا أضحي مقدمها تبيعا
بسطت لهم به خلقا وسيعا
يرد الكهل معضلها رضيعا
وكنت لصيد نجدتها قريعا
تركت محط رحل كان ريعا
إذا الفتيان ضاجعت الشموعا
عداتك كان عيشهم الضريعا
فكن لهم إلى الباري شفيعا
ورحمته التي حسنت وقوعا
عليك حيا وتستمرى الدموعا
وجاور شخصك الملاء الرفيعا

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحطي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُوري الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

تراجعك الملائك كل يوم
فدرد الدين صبرا واحتسابا
وتاج الدين قد ناداك صبرا
وقل لسراة قومهم اندبوه^(١)
أبوكم أربط الثقلين جأشا
وأنتم آله أفهل علمتم
كلاما يشبه الشهد النصيحا
فما كان الذي وافى بديعا
توارثه أبوك فكن سميحا
وهزوا البيض والأسل الشروعا
فكم في معرك هزم الجموعا
أصولا قط خالفت الفروع^(٢)



وله عليه السلام ألفاظ في الحكم فرائد نذكرها هاهنا وهي قوله عليه السلام:

كتمان السر رأس مال الملوك، الإلحاح في مطالبة المفلس تؤدي إلى الإنكار،
أشد ما تكون البدعة صعودا أقرب ما تكون جمودا، الكذب علة توجب سوء
الظن، الحياء يولد الجلالة، البذاء يوجب السقاط، الإيمان كله حسن وأحسنه الصبر،
العصيان كله قبيح وأقبحه الجزع، لكل شيء آفة وآفة المروءة سوء الخلق، الحصون
أوتاد الممالك، خنادق الجنود الحرس، الإفراط في المزح يورث العداوة، الغلول
يؤدي إلى الحرمان، البطر يؤدي إلى الخذلان، شكر النعمة يؤدي إلى المزيد، خير
الجيوس ما قل حشوه ولم تتنازع أمراؤه، خير الفرسان من عطف عند الجولة
وحاذر قبل الصولة، خير النساء من تبثك السر وتقر العين وتثلج الصدر، خير

(١) في النسخة: (قومك أندبوه) وما أثبتناه من الديوان .

(٢) ديوان الإمام عبد الله بن حمزة ٣٨٦ - ٣٨٨ .

الإخوان المواسي في الشدائد، خير الوزراء من عم نفعه، واتسع ذرعه، من هاب خاب، نائب القدر الكيد، الحزم سوء الظن، مصاحبة الأرذال تؤدي إلى سقوط المنازل، حب اللئام يهدم مآثر الكرام، مصاحبة أهل الرفعة تؤدي إلى الرفعة، خير الأموال ما نفع الأقارب وضر المحارب، خير الآباء من يطول عنق ولده بذكره، وتجري السنة الأكثر بشكره، شر البدع ما عارض السنة، وشر الولاة من تهاون بالكفاة، وخير الأمراء من انتخب الوزراء، استصغار النعمة يؤدي إلى زوالها، الشكر قيد النعمة، والحمد خطامها، الاقتصاد يهون الفقر، والتبذير يقلل الوفرة، الحاجة تفتح باب الحيلة، الآجال حصون الأعمار، إذا انقطع الأجل مات صاحبه بأقل حادث، الأمانة من أصلح مفتاح الرزق، رجاء الشجاع أكثر من يأسه، ويأس الجبان أكثر من رجائه، سلطان الحق أشد من سلطان الباطل؛ لأن أحكامه لا يجوز فيها التبديل ولا يقبل عنها الفداء، أساس الحكمة العقل، ورأسها الورع، ومادتها الفكر، وآيتها الخشية. العفو تاج الملك، والانتقام سيفه، والعزم رمحه، والكيد سهامه، الكرم شجرة أصلها الحياء، والحياء شجرة أصلها العقل، وقلة الحياء شجرة أصلها الجهل، من تفقد أحوال نفسه قل بالناس اشتغاله، ومن استعظم نعم الله سبحانه عظم حاله، ومن صغرها كثرت أوجاله وتضاعف بلباله، العقل ميزان والعلم وزان، بين الأمانة والخيانة والحزم والمهابة مآل عظيم، ليس العاجز من يترك ما لا يقدر عليه، العاجز من ترك ما يمكنه، دواء الأسف على الماضي نسيانه، فإن تعذر النسيان فالتناسي، فراق الحياة أعظم البلوى وأتم الناس نعمة من لم يبتل إلا بفراق الحياة، أقبح الحرمان ذي الرحم أو مسدي صنيعه، وأقبح الجبن ما

كان من نظيرك، وأقبح الشح شح الغني^(١)، وأقبح الرياء رياء العالم، وأقبح النفاق نفاق القادر، وأقبح العشق عشق الشيخ، وأقبح الجهل جهل الشريف، وأحسن العفو ما كان عمن هو دونك، قريب العهد بالإساءة إليك، وأحسن الورع ما كان عما تمس إليه الحاجة ولا ينسب متناوله^(٢) إلى زيادة.

العدل أساس الدين؛ لأنه لا دين لمن لا عدل له وقد يقع العدل ممن لا دين له كالمشركين؛ فإذا العدل يستغني بنفسه عن الدين والدين لا يستغني بنفسه عن العدل، فانظر إلى محله ما أرفعه، وقدمه ما أرسخه، ذكر الموت صعب يهونه ذكر ما بعده من خير وشر، احتمال بعض الذل أبقى لجملة العز، الاعتذار بالشغل جهل بقدر النعمة، الموت مصيبة عظيمة يهونها العلم بوقوع الاشتراك فيها، ما يستر الصمات من العورات، كل جارح يصيد بقدره، من الرعية أساس السلطان، الوالي المهين يسقط هيبة السلطان القوي، الحزم هو الاحتراز مما يقضي العقل بوقوعه لولا الاحتراز، الفشل هو تجويز ما لا يقضي العقل بوقوعه في غالب الأحوال، إكرام الكريم يقوي الداعي إلى الكرم، وتعظيم اللئيم يغري باللؤم، السماحة مفتاح الرزق، والشح مفتاح الحرمان في العاجل والآجل، العلم بيت بابہ التواضع، ومفتاحه الخشية، وعماده الصبر، وسقفه الرجاء، وحيطانه السكينة. التكبر من المخلوق جهل بابتداء الخلقة، ترك المكافأة بالإحسان عن الإحسان لؤم، وترك المكافأة بالسيئة عن السيئة مع القدرة كرم، نسيان الصنيع ضرب من الكفران، عصيان الحلیم سفه، وطاعته حلم، الثقة بالقادر عجز، ملاحاة الرئيس فشل، وعصيانه خذلان، الصبر قاعدة النصر، العفة في مقامات الجدال والقتال خفة، رأس الغنى مغالبة الأقدار،

(١) في (ب): بزيادة: المتقدم .

(٢) في (ب): ولا تنسب مناولته إلى حاجة .

الحوادث حشو بطون الليالي والأيام، خفة الجنان^(١) الصلافة، الحلم قيد العز،
السفاهة مفتاح الذل، لجام الحكمة الصمت ورحمة الظالم ظلم ونهر الضعيف تجبر
ومحابة فاعل المنكر إغراء له بفعله.

معالجة الضر قبل استحكام الأمر فشل، وإكثار الكلام من غير إصابة غي، ما
غلبت الجليل بمثل الجميل، ما ساد حقود، ولا جاد كنود، ولا استراح حسود،
أحسن خصال البر الرجوع إلى الحق، كم من ظالم لم يتجاوز ظلم نفسه، وكم من
عادل لم يعدل إلا في نفسه، الجهل حيلة الشيطان، والتواضع قاعدة الإيمان، تصغير
الإحسان حلية الإحسان، السلاح حلية الرجل، وواسطة عقده السيف، رب كلمة
خفيفة أد قائلها ثقلها، ورب ضحك ساق حزنا طويلا، أكثر الناس راحة أقلهم
عقلا، أبجل الناس من ترك الحقوق، ليس على من وقر الناس غضاضة. ولا نهر
صاحب البدعة فظاظة، هو أدنى نفسا من ناكح البهيمة أقل حياء من ذكر يؤتى،
هو أقوى عزما من مستقبل الجيش بالكفاح، هو أضعف بختا من كلبة حومل،
عتاب من هو فوقك حمق، وعتاب من هو دونك خرق، وعتاب من هو مثلك
نصفة، من قدر على كمال وقصر فهو العاجز، من اغتم لاعلة لغمه إلا غمك
واستر لا علة لسروره إلا سرورك فهو صادق المودة، العاهات تجمع السفهاء،
حاجة السلطان إلى الرعية أعظم من حاجة الرعية إلى السلطان؛ لأنه يوجد رعية لا
سلطان لها ولا يوجد سلطان لا رعية له، العافية أصل لطيب كل طيب، من زرع
الشر حصد الندامة، من نام على الخوف أمكن من نفسه، الحرب حرب المنايا،
أصل الهزائم اختلاف الأهواء، الرعب جند السعداء، أشر من الشر شماتة الأعداء،

(١) في (أ): حفة الجنان .

المهزوم مذموم، كم جاءت حلوة عافية بمرارة، كم ينغمر في أثناء الحق من الباطل، المتجانن مجنون؛ لأن العاقل لا يرضى بتشنيع نفسه، الشجاع محمود ولو كان على ضلالة، الملل أقوى أسباب زوال الدول، إذا أراد الله زوال دولة قوى قلوب أضعافها، الإهمال لا ينمو معه المال، المظل أحد أنواع الفقر، التبذير أقوى أسباب الفقر، الهلاك ثمرة الجهل، الإدلال على السلطان مثل مداعبة الأسد، كفران الصنيع يزهّد في أمثاله، تصغير النعمة نوع من الكفران، الشيخ مع أهله فتى، التعليم لا يغير الطباع، عذر القادر مقبول على كل حال، أشجع الأمم أهل الدول المقبلة من كل أمة، المدل على السلطان كالذي يجرب السم بنفسه، لا تقوم الضلالات إلا بأرباب الجهالات، مبتدي المعروف إلى من لا يشكر كمن يبذر الزرع في السباح، العلم كالعروس يحتاج إلى الخلوة، من أحسنت إليه وأساء إليك فداؤه السيف إن أجاز ذلك الشرع، ومن أسأت إليه وأساء إليك فداؤه الإحسان، لو كان الجور صورة لكان من أقبح الصور، ولو كان العطاء صورة لكان يوسف البشر، الأعمال ثمرات الأفكار، إذا كثرت النعم صغرت كبارها، الطمع ينافي المروءة، حاجة الملك إلى حسن السياسة أكثر من حاجته إلى القوة، النصيحة أصل لصالح الدين والدنيا، الجواب ثمرة المبتدأ فإن كان خبيثا خبث وإن كان طيبا طاب، قوة الشهوة مع التمكن من المشتهى من أجل النعم، كل سلطان يجور على رعيته فهو متبر الرأي مقطوع الظهر قليل عمر العز، الحصون أرواح الدول، من التعذير طلب الحاجة في غير وقتها، من لم يهتم بصغير العدو لم يضطلع بكبيره، معاتبة الجاهل كالذي يناطح الجبل، الحزم أنفع من الشجاعة، الحيلة أجدى من الجلد، المعروف عمارة الدول، قطع المعروف خراب الدول، الدعاء جند لا يغلب، رزقه الإخلاص وكراعه وسلاحه حسن الرجاء في الله يقطع المسافات البعيدة في لمح البصر، عمارة الولد

خراب الوالد، السلم موضع سفاهة الجبان والحرب موضع حلمه، قلة الشدة تؤدي إلى الجرأة، البخل أساس الذل، الجود أساس العز، رب حفظ يؤدي إلى ضياع، الجهل بحر لا ينجو من ركبه، العلم سفينة عاصمة، الكذاب يهون الشديد ويقرب البعيد ويخفف الثقل ويصحح المستحيل. المخاطرة بالمعروف أولى من المخاطرة بضياعه، الشهوات حثف أموال السلاطين، من أصاب الرأي وقبل رأي المصيب أصاب من جهتين، من أخطأ الرأي ولم يقبل رأي المصيب أخطأ من جهتين، الخيانة خراب، الأمانة عمران، من كان عقله أكبر من قدرته زانته قدرته وإلا فهي شين أو هلاك، من كان عقله أكثر من ماله دامت نعمته في الحالات، من كان ماله أكثر من عقله افتقر في أسرع الأوقات، من كان عقله أكثر من شجاعته غلب الأقران وهزم الشجعان، من كانت شجاعته أكثر من عقله شرب الذل بالدنان وصار فريسة لأحداث الزمان، من كان علمه أكثر من عقله كان مسخرة لأهل العقول، من كان عقله أكثر من علمه فهو من ورثه الرسول، عين العفاف أمينه، وعين الغضب مجنونة، وعين الهوى خائنة، استخدام العبد عمارة، وإهماله خراب، يركوب الأخطار تقضى الأوطار، ببذل الأموال تبلغ الآمال، مستحق الرئاسة يتدوؤها من أسهاسها، وغير مستحقها يتدوؤها من رأسها، وأساسها اللين والبذل، ورأسها الأخذ والقتل. خوف المجوزات حزم، وخوف الوقعات جزع، من عصى اللبيب العارف اجترفه الجارف، الشيب برص الشعر ولولا أنه يعم الخلق لكان علة ينفر عنها ويعير بها من نزلت به، من العناء تكلف الفقراء حالة الأغنياء، الاستقصاء يحمل على العصيان، رب مستيقظ لنائم، رب جازم لعاجز، رب حافظ لمضيع، ما نام من استيقظ جده، ما قدح من كبا زنده، ما نصح من اختلط وده، ما أصاب من غاب رشده، نم على الشوك ولا تنم على الخوف، لا ينفع مهزول العرض سمنه،

لا تعر يدك من يقتبس فيها النار، الحريص معان، أساس الطاعة الحياء، أساس المعاصي الكذب، عظم الأحداث دليل على زوال الدول، من نقم الثأر ما يورث العار.

وكتب عليه السلام إلى ولده الأمير الناصر لدين الله في شهر ذي الحجة سنة

تسع وتسعين وخمسمائة :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليك فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ونسأله لنا فيك بلوغ المراد والهدى إلى سبيل الرشاد، أما بعد : فإن أولى الناس بالفضائل من كانت النبوة أصل شجرته، والوصية بذر ثمرته، والخلافة سنح نسبه ووشيجة لحمته، وكان مسرحه في كلاً شرع جده شارعه، ومعقله في ذروة مجد والده فارعه، وإن أمير المؤمنين قد تفرس فيك فراسة رجا فيها الاصابة، وقضت له فيك بالأصالة والنجابة، فإياك أن تكذب فراسته أو تخيب ظنه، وعليك بالصبر فإنه مر المبدأ، حلو العقابة، شمر في درس العلوم فإنها حياة النفوس، وجلاء القلوب، وآثر من ذلك الأهم فالأهم، فأول ما تبدأ به معرفة الله سبحانه فإنها رأس العلم، وقاعدة الدين ومغناطيس النجاة، فتفهمها بالبراهين وتوابعها ولوازمها وما ينبني عليها وينضاف إليها من أفعاله تعالى وأحكام أفعاله وما يجوز عليه وما لا يجوز وما يجوز أن يفعله وما لا يجوز أن يفعله، والنبوءات والشرائع، والإمامة وتوابعها وما ينبني عليها.

وأتبع ذلك علم اللسان العربي إذ لا يصح علم الشرع الشريف إلا به، ثم بعد ذلك تعلم أصول الشرع وفروعه بأدلتها وعللها وأسبابها وشروطها وما يشهد لها ويدل عليها من الأقول والأفعال النبوية، واعتمد بعد ذلك على ما صح من إجماع الأمة والعترة، اجعل العمل مطيتك، والعلم دليلك، والحق سبيلك، ولا تركز إلى

الاغترار، وتفكر عند سكون جوارحك من الحركات في طاعة الله، لتكون قد ألزمت قلبك ما يجب عليك من طاعة ربك، ولا تسأم الدرس، ولا تمل إلى هوى النفس، واغتنم أيام الفراغ فيوشك أن يشغلك الناس بأموورهم عن أمر نفسك، فتكون لهم آلة إلى بلوغ أغراضهم إما مالكا وإما مملوكا، وقد ضيعت الأهم من غرضك، وبادر أيام الشيبية أن تنفذ، فما فات منها فلن يرتد، وليس له بدل ولا به عوض، وعليك بالحلم والتواضع لمن أخذت منه العلوم خصوصا، ولسائر المسلمين عموما، والزم الرفق والأناة إلا عن اكتساب الخيرات وفعل الطاعات فبادر ما استطعت فإنه ميدان سباق، وأكره نفسك على مرارة الطاعة لتذوق حلاوة الجزاء والمثوبة، ولا تنس نعمة الله سبحانه عليك بشرف النصاب النبوي، وفضل النجار العلوي الذي تقاصرت دونه الأنساب، وخضعت له الأعناق، وأهن^(١) نفسك في كسب العلوم لتعز في الدنيا والآخرة، وعليك بحسن الخلق فإنه عنوان الإيمان، وإياك والعجلة فإنها حباله الشيطان، وتحفظ من منطلقك من عشرة اللسان، ولا تكثر الضحك فإنه يمت القلب ويورث الأحزان، وإياك ومجالسة السفهاء فإنها مجانية للإيمان، وعليك بتوقير أهل الأسنان، واعرف لأهل الحق حقوقهم، وأنزلهم في نفسك منازلهم، ولا تظلم عند القدرة، وأقل العاثر العثرة إلا أن تعلم أو تظن أن ذلك مؤد إلى التمادي في الطغيان، واشكر على القليل، وجاز على الإحسان بالإحسان، وانصف خصمك من نفسك قبل أن تلجأ إلى حاكم لا يصغي إلى الإدهان، واستشعر خيفة الرحمن في السر والإعلان، واعرف حق والديك وأده وصل رحمك، واخفض للمؤمنين جناحك، وأحسن طاعة من وليك وسياسة من

(١) في (ب): وأمر .

وليته، ولا تكثر النوم فإنه يورث الفقر في الدنيا والآخرة، وشمر عن ساق الجسد، ولا تياس من إدراك المطلوب، ونفس إن استطعت كربة المكروب، واحمد الله على كل حال من رخاء أو شدة، ولا تجعل نعمة الله عليك دليل الرضى، ولا محنته لك دليل الغضب، فإنه قد يتبلي وليه، ويستدرج عدوه، فكن عند المحنة أرجا منك عند النعمة، واذكر ربك في الرخاء يذكرك في الشدة، ولا ترض لنفسك بصغار الطاعات مع طلبك كبار الدرجات، فليس مع الراحة راحة . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أولاده عليه السلام ^(١):

محمد الناصر لدين الله، وأحمد المتوكل على الله، وعلي، وحمزة درج صغيرا، وإبراهيم، وسليمان، والحسن، وموسى، ويحيى، وإدريس درج صغيرا، والقاسم، وفضل درج صغيرا، وجعفر توفى ولا عقب له، وعيسى توفى ولا عقب له، وداوود، وحسين درج صغيرا .

والبنات عشر: زينب، وسيدة، وفاطمة، وجمانة، ورملة، ونفيسة، ومريم، ومهدية، وآمنة، وعاتكة .

محمد أمه دنيا بنة قاسم حمزية، وأحمد وعلي أمهما فاطمة بنة يحيى من أولاد الهادي إلى الحق عليه السلام، وجعفر أمه نعم بنة سليمان بن مفرح، وإدريس أمه منعة بنة الفضل بن علي بن حاتم، والباقي لأمهات أولاد شتى، وقد أنجبت أمهاتهم جميعا .
ومواقف شرفهم معروفة، ومقاماتهم على الأعداء موصوفة، شعر:

إذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرقت الأرض واليوم قر

(١) أنظر شرح الزلف ٢٤٦ .

وما أحقهم بقول المتنبّي:

قوم بلوغ الغلام عندهم	طعن نحور الكمأة لا الحلم
إن برقوا فالحتوف حاضرة	أو نطقوا فالصواب والحكم
أو حلفوا بالغموس واجتهدوا	فقولهم خاب سائلي قسم
أو ركبوا الخيل غير مسرحة	فإن أفخاذهم لها حزم
أو شهدوا الحرب لاقحا أخذوا	من مهج الدارعين ما احتكموا
تشرق أعراضهم وأوجههم	كأنها في نفوسهم شيم

عماله عليه السلام وقضاته:

اتفق له عليه السلام عند قيامه من العترة عليهم السلام رجال بذلوا في طاعة الله وطاقته مجهودهم . فولى الأمير الكبير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى قدس الله روحه شام بلاد حولان وبني جماعة وبني نجر والأهنوم، وكان له عليه السلام من العناية والاجتهاد ما يليق بمثله حتى لقد أقام يسير في بعض نواحي المغرب داعياً إلى الله تعالى وإلى طاعة الإمام المنصور بالله عليه السلام حتى ورمت قدماه، حكى ذلك الأمير الكبير عماد الدين طول الله عمره على كبر سنه وضعفه . وولى الأمير الكبير بدرالدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى رضوان الله عليه نجران . وولى الأمير على بن الحسن عليه السلام صعدة^(١) هذا في ابتداء ولايتهم ثم ولى بعد ذلك صعدة وأعمالها ونجران وما يتصل بذلك الأمير الشهير مجدالدين يحيى بن الداعي إلى الله محمد يحيى بن يحيى الهادي إلى الحق عليه السلام فولياها حتى استشهد رضوان الله عليه . ثم وليها أخوه تاج الدين أحمد بن محمد بن يحيى حتى توفي الإمام المنصور بالله عليه السلام . وولى

(١) في (ب): وأعماله .

الظاهر آخرا الشيخ أمير الدين دحروج بن مقبل . وولي عيان وما يليه إلى نواحي الجهات المغربية من بلاد حجور وقحطان الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم رحمته الله وتوفي وهو في يده . وولي الأمير علم الدين سليمان بن موسى الحمزي رحمته الله ^(١) الجوف وأعماله ^(٢) وبقي في يده حتى توفي الإمام المنصور بالله عليه السلام . وولي الأمير الكبير عماد الدين ذا الشرفين أبا المظفر يحيى بن حمزة بن سليمان مما يلي ظاهر بني صريم إلى الطرف وما يتصل به من الجهات إلى بلاد حمير ونواحيها إلى بكر وما يليه من الجهات المغربية إلى مساقط حراز وبقي في يده إلى أن توفي الإمام عليه السلام . وولي القاضي ركن الدين يحيى بن جعفر حقل وحقاليه وما يليهما من بلاد جنب ونواحيها، وفي بلاد مذحج الشيخ عزان بن سعد ^(٣) والشيخ مفضل بن أبي رزاح رحمهما الله تعالى وكان فيها من أهل العلم ممن ولي الفقيه العالم ركن الدين سليمان بن ناصر رحمته الله وغيره من أهل العلم، وقبضت ولاته الأموال من نواحي الحجاز وكانت تصل إليه موفرة على أيدي رسله عليهم السلام واستمراره في نواحي جيلان وديلمان على وفق الأوامر الإمامية على أيدي داعييه محمد بن أسعد ومحمد بن قاسم بن نصير، وانتظمت الأمور فيها أشد الانتظام، وأقيمت الحدود، وجرت الأحكام . وولي القضاء في صعدة وأعمالها القاضي الفاضل محمد بن عبدالله بن أبي النجم رحمه الله تعالى وولده القاضي عبدالله بن محمد بعد أبيه، والقاضي الفاضل عبدالله بن معرف رحمه الله في بلاد وادعة والقاضي عمرو بن علي العنسي رحمه الله في حوث وأعمالها، وولده القاضي مسعود بن عمرو بعده وهو الشاعر المفلق

(١) في (ب): رحمه الله .

(٢) في (ب): وأعمالها .

(٣) في (ب) سعيد .

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية . تأليف: شيخ الإسلام : الشهيد حميد بن أحمد بن محمد المحلي .
تحقيق: د. المرتضى بن زيد المَحْطُورِي الحَسَنِي . الطبعة الثانية - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - مكتبة مركز بدر للطباعة والنشر والتوزيع .
www.almahatwary.org

والخطيب المصقع ، وولي أيضا القاضي يحيى بن جعفر وكان غزير العلم بالغا درجة الاجتهاد . أخبرني من أثق به أن الأمام المنصور بالله ﷺ سئل هل هو مجتهد؟، فقال: هو من أكبر المجتهدين، وكان في اليمن جماعة من أصحاب القاضي شمس الدين جعفر بن أحمد قدس الله روحه وغيرهم منهم الفقيه العالم سليمان بن ناصر رحمه الله، وكان غزير العلم بالغا درجة الاجتهاد، ومنهم القاضي الفاضل أحمد بن مسعود الربعاني رحمة الله عليه، ومنهم القاضي فائز بن مقبل وغيرهم من العلماء، وكان في نواحي الحجاز السيد يوسف بن علي الحسيني الشهيد بعناية صاحب بغداد وهو الملقب بالناصر أحمد، وكان رحمه الله عالما فاضلا على ينبع والصفراء، ومنهم القاضي الفاضل عرفطة بن المبارك رحمه الله في سايه وبلاد بني سليم إلى مكة وقتل بها عن أمر الناصر أيضا، والقاضي منصور بن علي البشاري والفقيه داوود بن عبيد الخيري وغيرهم ممن يطول ذكره وإنما ذكرنا القليل لأن استقصائهم يخرجنا إلى التطويل، إلا أنا ذكرنا العيون المنظور إليهم من الكفاة والقضاة والدعاة إليه ﷺ.

ومن مختار ما رثي به الإمام المنصور بالله ﷺ قول ولده الأمير الناصر لدين

الله أبي القاسم محمد بن عبد الله ﷺ:

مصاب أبي أو هد من عظمه أزري
وسنت له أنياب ذي لبد حسر
عليه الثريا في كواكبها الزهر
على حدثان الدهر كالكوكب الدرّي
سجالين من جود ومن نائل غمر

بفِي الشامتين الترب إن يك نالني
على حين أعيي المقربات فراقه
فإن يك نسوان بكين فقد بكت
وإن يشمت الأعداء يوما فإني
وما مات من أبقى لمن كان بعده

أما إنه لولا احتسابي مصابه
رزية خطب جللتنا وجللت
ولو لم يكن في مثلنا قبل مثلها
ولكنها الأيام تُبلي جديدها
وتلك التي تبدو علينا بوجهها
وما طلعت يوما علينا مشيحة
ولكنها تبدو بأنياب كالح
فمن للمعالي والعوالي وللندی
ومن للعدى بعد ابن حمزة ضامن
ومن لجياد الخيل إن ظل بينها
ومن لليتامي يوم خلفت فلهم
فلا يهنأ الأعداء مصرع رهم
وناع بفيك الثرب ليتك لم تكن
ولم يبق في عليا لؤي بن غالب
رأيت المنايا لم يدعن محمدا
وأدركن خير الناس بعد محمد
ونلن من الأعراب قيس بن عاصم
وأدركن بسطام بن قيس بن خالد
وعيت عليّ النائبات فلم تدع
على كبدي كادت تفيض على النحر
عماء على الشمس المنيرة والبدر
لما كان من صبر عليها لذي حجر
فتمضي ويمضي كل يوم على مُرّ
شتيما وتبدو في غلائلها الخضر
فنمنع منها حد ناب ولا ظفر
وألحاظ شنآن من النظر الشزر
ومن للسريجات أو للقنا السمر
بذي لجب تبدو عيا ظله بجر
فتى منه مآطور وآخر ذو كسر
كما خُلفت في الدوّ بيضُ القطا الكُدّر
ولا عتقوا من كل جائحة نكر
نعيت الذي لم يبق منّا على ستر
بقاء فأولى للرزية في فهر
على حاله ولم يدعن أبا بكر
قتيل التجوي الذي جاء من مصر
وعمرو بن كلثوم وعمرا أبا عمرو
وأدركن ذا التاج الذي كان في حجر
طريقا إلى علم كأني لا أدري

فلم أر إلا أنها سوف تنتهي
فلا عين إلا ما استهلت شجوها
لرزه أصاب المسلمين فأصبحوا
أصيب علي بالذي لم يكن له
لعالك إما بنت غير مودع
كأنك لم تركب جوادا ولم تكن
ولم تغز في خيل يلوح عقابها
ولم تثر دون المرهقين بطعنة
ولم ينتظرك المعتفون لما بهم
وأضياف ليل قد دعوك إلى القرى
وغامض علم قد كشفت وفارس
وبنت كريم قد نكحت ولم يكن
ومهمة قفر قد قطعت إلى العدى
فما كان من هذا فقد كنت أجتني
تولت بهم عنا المنون وخلفت
فلا أنسين عهدا إلي عهدته
وما ضاع من عهد أكون وليته

وتلك التي ليست تصح إلى زجر
ولا قلب إلا ما تقلب في جمر
له كالسكارى الشاربين من الخمر
كفاء بمحض في شمائله حر
ولا ذا قلبى فينا ولا سيئ الذكر
صيرت لأيام محجلة غر
على رأس ميمون يؤيد بالنصر
كأنك ليث من خفية ذوأجر^(١)
كما انتظرت غير السنين إلى القطر
هدوا وقد بات المطي بهم يسري
طعنت وعان قد فككت من الأسر
لها خاطب غير المثقفة السمر
بقُبِّ عتاق في أعنتها تجرى
جنى شجر جرز مذاقته مر
به ذات أطال مولعة حمر
أبى الله إلا أن أغيب في قبرى
ولا أنا بالواني الضعيف ولا الغمر



(١) في (ب): حنفة ذوأجر .